سلسلة

الكون .. كتاب الله المنظور
آيات ودلالات



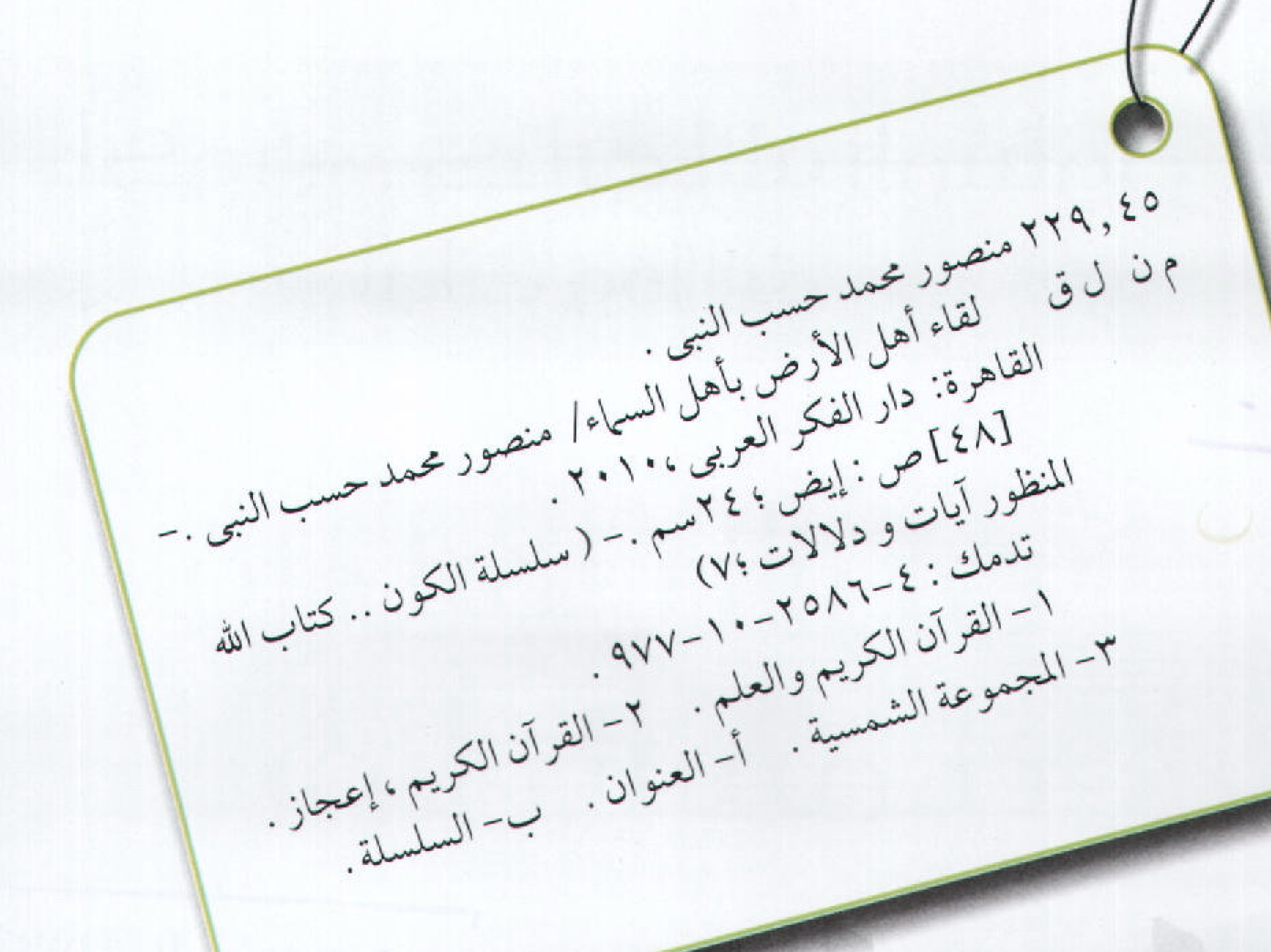
لقاء أهل الأرض بأهل السماء

الدكتور
منصور محمد حسب النبي



٩٤ شارع عباس العقاد _ مدينة نصر
تليفون : ٢٢٧٥٢٩٨٤ _ ٢٢٧٥٢٧٩٤
info@darelfikrelarabi.com

٦أ شارع جواد حسني - القاهرة
تليفون : ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com



٢٢٩,٤٥ منصور محمد حسب النبى .
م ن ل ق   لقاء أهل الأرض بأهل السماء/ منصور محمد حسب النبى .-
القاهرة: دار الفكر العربى ، ٢٠١٠ .
[٤٨] ص : إيض ؛ ٢٤سم .- (سلسلة الكون .. كتاب الله
المنظور آيات و دلالات ؛٧)
تدمك : ٤-٢٥٨٦-١٠-٩٧٧ .
١- القرآن الكريم والعلم .   ٢- القرآن الكريم ، إعجاز .
٣- المجموعة الشمسية .   أ- العنوان .   ب- السلسلة .

تقديم السلسلة :

يسعدنى أن أقدم- والحمد لله - سلسلة «**الكون .. كتاب الله المنظور آيات و دلالات**» إلى الجيل الصاعد لأعرض قضايا كونية شائقة تشغل عقول الناس جميعا على اختلاف معتقداتهم، لتثبت للبشرية كلها، أن الإسلام دين علم، ولا سيما أن العصر الذي نعيشه منذ القرن العشرين لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب والإقناع.

وحيث إن القرآن الكريم يجمع بين العلم الكوني وهداية البشر، فلقد كتبت هذه السلسلة الكونية فى نور القرآن الكريم ، لعل شباب اليوم يهتدي إلى خالق الكون عن علم ومعرفة واقتناع من خلال إدراك الجديد من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كوسيلة لإثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ لمن ينكرونها على اختلاف بواعثهم . ولكي يجد الشباب المسلم جوابا علميا على كثير من التساؤلات فى الآيات الكونية من خلال كلمات الله التي تشع العلم والهدى والرحمة.

إن هذه الآيات تتضح معانيها بمرور الزمن، فيتبين للإنسان فيها على مر الدهور والعصور ، وجه لم يكن يتبين ، وناحية لم يكن أحد يعرفها ، وصدق الحق فى وصفه للقرآن الكريم بقوله تعالى:



﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص]

وإنى لأشكر **لدار الفكر العربي** تحمسها لنشر هذه السلسلة التي ألَّفتها تسبيحا لله خالق الكون خالصة لوجهه الكريم ، أرجو منها المثوبة وحسن الجزاء لي ولكل من شارك في نشر أفكارها وإذاعتها بين الناس .

فلتطف معي أيها القارئ الكريم،فى ظلال الكون والقرآن العظيم ، من خلال هذه السلسلة ، وسبح معي الله الواحد الأحد شاكرين له سبحانه كما فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [النمل: ٩٣]

والله من وراء القصد، وهو سبحانه الهادى إلى سواء السبيل.

المؤلف



مقدمة

إن فكرة وجود حياة في السماء، أي وجود الأحياء العاقلة وغير العاقلة في أرضنا والأرضين الأخرى ظلت تسيطر على عقل الإنسان وتفكيره، فاهتمت البشرية بمعرفة رأي الدين والعلم عن احتمال وجود أحياء السماء، وخاصة بعد ارتياد الفضاء، وتقدم وسائل الرصد والاتصالات في عصرنا الحاضر.

ورغم عدم العثور على دليل بوجود الأحياء في مجموعتنا الشمسية (باستثناء كوكب الأرض)، ورغم استحالة زيارة كواكب أخرى تابعة لنجوم مجرتنا أو المجرات الأخرى نظرا للمسافات الهائلة التي تفصل بينها، فإننا بتدبر آيات القرآن الكريم بالعقل، ومنطق الحكماء، وعلم العلماء نستطيع هنا أن نؤكد وجود أرضين أخرى تفيض بالحياة وتزدحم بالأحياء، فليس من المعقول أن يخلق الله هذه البلايين من النجوم (الشموس) بلا غاية، وكأنها عديمة الفائدة كما اعتقد معظم الناس قديما بأنها ثقوب في رداء الفضاء أو مشاعل في طريق الجن والملائكة، أو أن هذه النجوم مساكن للآلهة أو علاج للهموم، أو مسامير من الفضة لتثبيت القبة السماوية.

ويتساءل الإنسان مندهشا: دعنا من خرافات وخيال الأقدمين فقد عرفنا بوسائل العلم الحديث أن النجوم شموس، فهل معقول أننا معشر البشر وحدنا في هذا الكون؟ ألا توجد حياة مماثلة وأرضون مشابهة في كواكب هذه البلايين من النجوم؟ ولا سيما أن العقل يقضي بتعدد الأرضين. فلكل أرض سماؤها وماؤها، وعلى كل أرض أحياؤها، ويتساءل الجميع عن موقف العلم والدين من هذه القضية؟...

وللإجابة على هذا السؤال فإن العلم يلهث حتى الآن وراء الكشف عن بعض الكائنات الحية الذكية في أرضين أخرى.. وأما الدين فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يؤكد وجود أرضين بعدد السموات، وأن الأمر الإلهي يتنزل بينهن مشيرا إلى وجود حياة عاقلة تتلقي هذا الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق].

ويشير القرآن أيضا أن الخلق ليس عبثا ولكنه ضروري لتحقيق التكامل، والتشابه، والتناظر، والنظام الأكمل، والهدف الأمثل. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء].

أي أن هذا الخلق مقصود، والقصد ممدود، فالفضاء ليس خلاء، بل إن الدواب وجميع صور الحياة منتشرة في أرجاء الكون؛ لأن الحياة فيه وفيرة وكثيرة، ولهذا تعددت العوالم، والحمد لله رب العالمين، وهو سبحانه القائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى].

إن تماثل الكون وانتشار الحياة حقيقة هامة يؤكدها العلم، فالأيدروچين الكوني يملأ فضاء السموات، والنجوم متشابهة التركيب، والكواكب والنيازك من نفس العناصر، وقياسا على ذلك فالحياة كما نعرفها منتشرة في الكون وأساسها الماء، كما في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

فالكون كله مركب من نفس العناصر، وكان قبل الانفجار العظيم سديما دخانيا أو رتقا واحدا ثم تفتقت أجزاؤه في مجرات ونجوم وكواكب وأقمار، ومن هذه الكواكب أرضون مناسبة للحياة؛ لأن الله سبحانه أخرج منها الماء كأساس لكل شيء حي يعيش على هذه الأرضين.

وطبقا لهذا التماثل فإنني من المؤمنين بوجود حياة على أرضين أخرى غير أرضنا وسبحان الله وهو القائل:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [الملك].

حقا، إن ما نكتشفه في هذا الركن الصغير من الكون الذي نعيش فيه، وأعني المجموعة الشمسية، ما هو إلا صورة متكررة وموجودة في جميع أنحاء الكون الواسع منذ الأزل، بل وصورة موحدة في أصولها وخواصها، بل وعناصرها، وسيظل عرش الله - أي سلطانه - على الماء كمصدر للحياة هنا وهناك قديما وحديثا ومستقبلا، ووسع كرسيه السموات والأرض في المكان والزمان كما في قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود:٧].

والفعل كان هنا يفيد الكينونة والأزلية ما دام الكون قائما والعرش بمعنى السلطان والنفوذ في جميع أرجاء الكون لخلق الحياة دائما من الماء على الأرضين السبع، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وقد أحاط سبحانه بكل شيء علما.

وبهذا فالقرآن الكريم يسبق العلم في التنبؤ بتعدد العوالم وخلق كل شيء حي من الماء، بل ويشير إلى احتمال التقاء أهل الأرض بأهل السماء، أو بمعنى آخر التقاء أهل الأرضين السبع. وهو سبحانه على جمعهم في الدنيا والآخرة إذا يشاء قدير .

فكيف وأين ومتى سيتم هذا اللقاء؟ وما هي ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة؟ وهل تحمل هذه الأطباق زوارا عاقلين من العوالم الأخرى؟ كل هذه الأسئلة نحاول الإجابة عليها بين العلم والقرآن في كتابنا في هذه السلسلة، وفوق كل ذي علم عليم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

لغز اللقاء مع أهل السماء؛

يتمتع الإنسان بخاصية الفضول والتساؤلات المثيرة، فلقد اعتقد فلاسفة اليونان منذ ما يقرب من ستمائة عام قبل الميلاد بوجود كائنات حية تسكن الكواكب والنجوم،ثم تخيل الفلكيون أنه لا حياة إلا على أرضنا الموجودة في نظرهم في مركز الكون، بينما تدور الشمس والقمر والكواكب والنجوم حولها في القبة السماوية بدعوى مركزية الأرض؛ لأهميتها ووجود الإنسان وحده في الكون على أرضنا فقط، وظل هذا الفكر الأناني سائدا حتى القرن السادس عشر، حين أعلن كوبرنيكس نموذجا جديدا يضع الشمس في المركز، بينما تدور الأرض والقمر والكواكب في مدارات دائرية حولها، وكان من نتيجة هذا اختفاء التصور بمركزية الأرض وسكونها وانفرادها بالحياة، لدرجة أن العالم برونو عام ١٦٠٠م تحدى الكنيسة المعارضة لهذا الفكر الجديد وأعلن وجود عدد لا نهائي من الشموس التي يدور في أفلاكها عدد لا نهائي من الكواكب، بعضها قد يكون مسكونا بحياة مثلنا، فحكمت عليه الكنيسة بالإعدام حرقا ؛لأن هذا الفكر في نظرهم كان خروجا على الدين والكنيسة وتعاليمها؛ ومات برونو محترقا بنار الجهل بينما يلهث العلم الآن وراء البحث عن أرضين أخرى،

ولهذا فإن الفلكي المشهور كبلر تصور في القرن السادس عشر في كتابه الذي سماه "المنام" (تحاشيا للاصطدام مع الكنيسة)، أن القمر تسكنه مخلوقات خاصة تختلف عن مخلوقات الأرض؛ (وتبين أخيرا عدم وجود حياة على القمر). ولقد ظل وما زال التساؤل عن وجود كائنات حية في أماكن أخرى من الكون قائما في محراب العلم وخاصة بعد أن زال سلطان الكنيسة واضطهادها للعلماء في مطلع عصر النهضة، لكن الإجابة على

هذا السؤال الهام تتطلب اتباع طريق علمي منطقي بحت ، وإلا وقعنا فيخيالات وأوهام، كما فعلت جريدة النيوزويك عام ١٨٣٥م عندما أعلنت أن العالم الإنجليزي هرشل استطاع أن يراقب حركة سكان القمر من خلال منظاره وقدمت صورا مزيفة لهذه المخلوقات في كذبة صحفية، أما عقدة المريخ فقد أثيرت حين تم اكتشاف قنواته عام ١٨٧٧م وخرج الكاتب الإنجليزي ويلز بكتابه الخيالي "حرب العوالم" يقدم فيه وصفا وهميا لهجوم مفاجئ على إنجلترا من أهل المريخ الأكثر تقدما في نظره، كما قدم نفس الكاتب برنامجا إذاعيا محكما في إخراجه مما أثار الذعر في نفوس الناس في كثير من مدن الشاطئ الشرقي بالولايات المتحدة إذ اندفع كثير من الناس إلى الشارع دون تفكير لمجرد إيهامهم بأن بعضا من سكان المريخ قد هبطوا في مدينة نيوجرسي! علاوة على كتابات متعددة لأدباء كثيرين يتخيلون أن أحياء عاقلة من كواكب أخرى قد زارت كوكبنا قبل بضعة آلاف سنة وأثرت في تطوره، وظل هذا الخيال العلمي سائدا حتى الآن وشاع لغز الأطباق الطائرة وبدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٨م وأصبح العلماء يفكرون في هذه القضية تفكيرا علميا بالبحث عن الشروط الملائمة للحياة وإمكانية توافرها أولا في كواكب وأقمار المجموعة الشمسية، ثم البحث عنها في أرجاء الكون خارج عالمنا الشمسي.

١- ما هي الحياة؟

الحياة: سر من أسرار الله وكل ما نعرفه أنها ظاهرة فريدة تختلف عن كل الموجودات في روعتها وجمالها، وتتميز الكائنات الحية بالخواص المشتركة التالية:

١ - تتكون من وحدات صغيرة محددة الشكل تدعى الخلايا التي تحتوي جميعها على مادة معقدة تدعى البروتوبلازم.

٢ - تستجيب بسرعة للبيئة المحيطة بها ولاتستغني عن الماء الذي خلقت أصلا منه.

٣ - تتميز بظاهرة النمو الحيوي وتستطيع تحويل طعامها وتغيير تركيبه.

٤ - تتميز بالتكاثر كصفة أساسية.

ورغم معرفتنا لهذه الخواص المميزة للحياة فإننا لا ولن نعرف سرها، فالروح من أمر الله عز وجل



الذي يتحدى البشر بخلق ذبابة أو حتى استعادة ما يتم امتصاصه في بطنها من طعام، كما في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج]

ولقد تطورت الحياة على كوكب الأرض، فمنذ ٦ ,٤ مليار سنة انفصلت الأرض عن الشمس، ثم تصلبت قشرتها، وبعد مضي حوالي مليار سنة خرج الغلاف الجوي الأولي السام من فوهات البراكين التي كانت منتشرة على سطح الأرض كما خرج منها أيضا غلافها المائي. ولقد كانت السيادة للغازات الأيدروچينية والهليوم والأمونيا وبعض المركبات الغازية الأيدروچينية الأخرى كالنوشادر والميثان وهو غلاف جوي قديم لأرضنا شبيه بالغلاف الحالي لكل من كوكبي المشتري وزحل... أما الأكسچين فلم يكن له وجود في هذا الغلاف الأولي للأرض قبل مليارين من السنين ... ولقد هرب الأيدروچين بينما حولت الأشعة الخطيرة فوق البنفسجية القادمة من الشمس ما تبقي من غازات الغلاف إلى مركباته الحالية (الأكسچين والنتروچين).



وكان على البقايا الغازية العضوية المحتوية على الكربون أن ترتب نفسها لتكون مع الماء مركبات كثيرة عناصرها الكربون والأيدروچين والأكسچين والنتروچين، وكان ثراء بحار الأرض من هذه المركبات عاليا مما أدى إلى تكوين ما يسمى بالشوربة البدائية المحتوية على الطين والماء المنتن لوجود هذه المركبات التي خرجت منها كائنات حية وحيدة الخلية. وبهذا يقرر العلم ضرورة توافر الماء والمواد العضوية، ولا تستقيم الحياة بدون هذه المركبات، فهي توجد دائما في أجسام جميع

الكائنات الحية، ولا يختلف في ذلك كائن حي عن الآخر، فهي توجد في البكتيريا، وفي الطحالب والنباتات والحيوانات والإنسان، وصدق سبحانه بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقوله سبحانه مشيرا إلى الطين المنتن المتخمر بمواده العضوية بالحمأ المسنون في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر]. ورغم تقدم علم الهندسة الوراثية حديثا في دراسة الخلية الحية فإن العلماء ما زالوا عاجزين عن إدراك السر الأعظم، أي سر الحياة، وقاموا أخيرا بتعريض خليط من الغازاتالتي تشبه الجو الأولي للأرض (مثل خليط الأيدروچين والميثان والأمونيا وبخار الماء) لشرارة كهربية ولإشعاع فتولد داخل الأنابيب راسب قطراني من جزيئات عضوية أغلبها يدخل في تركيب الجزيئات المعقدة الخاصة بالحياة، وبهذا استنتجوا أن الحياة نشأت من جو الأرض في تاريخها المبكر حين أذابت مياه البحار الضحلة القديمة كمية لا بأس بها من هذه الغازات فتكون سائل يشبه الحساء المنتن نشأت منه الحياة في البحار بعد حوالي مليار سنة من تكون كوكب الأرض، وكانت الكائنات الحية بدائية وتعيش في مياه البحار فقط على هيئة بكتيريا وطحالب كما أوضحت الحفريات منذ ٣٤٠٠ مليون سنة، ثم اكتملت المحيطات في حجمها الحالي منذ ٣٠٠٠ مليون سنة، وتم إنتاج الأكسچين بالتمثيل الضوئي (الكلوروفيللي) بواسطة النبات منذ ٢٠٠٠ مليون سنة، واستقر الغلاف الجوي بتركيبه الحالي منذ ١٠٠٠ مليون سنة، وبدأ عصر اللافقاريات منذ ٥٧٠ مليون سنة، ثم عصر الأسماك منذ ٣٩٥ مليون سنة، وعصر الزواحف منذ ٢٥٠ مليون سنة، والديناصور منذ ٢٠٠ مليون سنة، والثدييات منذ ٦٥ مليون سنة، وأخيرا ظهور الإنسان، وصدق تعالى بقول سبحانه:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان].

وبهذا يتفق العلماء على أن الحياة قد ظهرت على كوكبنا عقب سلسلة من التطورات الكيميائية البطيئة التي كان لا بد من حدوثها بشكل محدود منذ حوالي ٣,٤ مليار سنة، وهذا الافتراض يحمل على التفكير

في أن ظهور الحياة فوق كوكب ما، ليس ظاهرة فريدة أو خاصة، ولو توافرت الظروف المطلوبة فإن الحياة سوف تظهر، أو هي على وشك الظهور أو قد ظهرت بالفعل فوق جميع الكواكب التي تتوافر فيها الظروف الآتية:

١ـ وجود الماء (في شكل سائل على سطح الكوكب) لأنه أساس الحياة.

٢ـ الحدود المناسبة من درجات الحرارة بين درجة غليان الماء وتجمده.

٣ـ وجود غلاف جوي ينظم درجة الحرارة.

٤ـ توافر الأكسچين والكربون.

وتتميز ذرة الكربون بقدرتها على تكوين روابط كيميائية مستقرة وقوية تمكنها من الدخول في تفاعلات لها شكل سلاسل طويلة ومتفرعة كالمركبات الأليفاتية أو سلاسل حلقية كالمركبات الأروماتية، أو روابط منهما معا، ومثل هذا التنويع يعطي ذرة الكربون القدرة على تخزين المعلومات وتنويع الوظائف كما هو الحال في الأنظمة الجزيئية الحية مثل جزيء DNA المعروف لنا.





وقد أثير في الأوساط العلمية سؤال عن مدى إمكانية قيام ذرة عنصر السيليكون بدور ذرة الكربون. واتضح أخيرا استحالة قيام الحياة على هذا العنصر المشابه للكربون؛ لأن سلاسله لا تستطيع التفرع ومركباته غير مستقرة ولا تستطيع تكوين روابط حلقية أو كيميائية مع ذرات النتروچين والفوسفور، كما أن أكسيد السيليكون لا يتحلل في الماء إطلاقا على عكس ثاني أكسيد الكربون، ويكفي السبب الأخير في رأيي لاستبعاد هذا العنصر كأساس للحياة على أي كوكب بدلا من الكربون، ولا داعي لقصص أحياء السيليكون التي كانت مرتعا خصبا للخيال العلمي؛ لأن أي تصور يتعارض مع المبدأ القرآني الحيوي العام (الذي ينص على أن الماء أساس الحياة) مرفوض طبقا لإسلامية المعرفة فلاحياة بدون الماء كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء].

فالماء أساسي لقدرته الفائقة كمذيب، ووسط حامل للمـركبات العضوية (الكربونية) وعلى سبيل المثال فإن ثاني أكسيد الكربون يوجد على هيئة غاز ينتشر في الهواء (بعكس ثاني أكسيد السيليكون أي الرمل) ويذوب في الماء، وبذلك يستطيع التفاعل بسهولة مع غيره من العناصر مكونا آلاف المركبات، كذلك تستطيع بعض الكائنات الحية كالنبات أن تمتصه من الهواء ثم تذيبه في الماء الموجود بخلاياها وتصنع منه كل ما نحتاجه من مركبات غذائية، وبهذا فهناك شبه إجماع من العلماء علي أن الحياة التي نعرفها على سطح الأرض والتي تقوم على أكتاف عنصر الكربون وجزيء الماء هي النوع الوحيد من الحياة التي يمكن لنا أن نتوقع وجودها في أي مكان آخر في هذا الكون والله أعلم. كما أنه من المعروف من الدراسات الطيفية الذرية للشمس والنجوم

من تحاليل تربة القمر والمريخ في عصر الفضاء أنه لا توجد عناصر ثابتة في هذا الكون خلاف تلك العناصر التي نعرفها نحن على سطح الأرض والتي يصل عددها إلى ٢٩ عنصرا ثابت التركيب.. وهذه حقيقة علمية تشير إليها القرآن في إطار وحدة السماء والأرض ماديا وحيويا كما في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

فهذه عناصر الأرض والحياة واحدة في كل أرجاء الكون الذي كان رتقا، أي كيانا واحدا، ثم تفتق إلى أجرام متباعدة ومتعددة في صورته الحالية، وأثبت العلم أن عناصر الأرض هي نفسها الموجودة في النجوم والكواكب والأقمار بل والسماء عموما، وأثبت العلم انتشار اللبنات الثلاث الأساسية المكونة لكل ذرات الكون في أرجاء الأرض والسماء، وأعني الإلكترون والبروتون والنيوترون، ولو انفرط هذا الكون بما فيه من غاز أو سائل أو جماد وبما فيه من أحياء لنتج عن انفراطه كومات هائلة من هذه الجسيمات الذرية واللبنات الأساسية فهل في معاني الوحدة أبلغ من هذا... وإذا كان هذا شأن المادة فإن الطاقة أيضا على المستوى الكوني أصلها واحد سواء كانت ضوءا مرئيا كما نراه في ضوء الشمس أو غير مرئي كما في الإشعاعات الذرية المنتشرة كلها بسرعة واحدة عظمى هي سرعة الضوء المرئي وغير المرئي شاملا الأمواج الحرارية والراديوية وفوق البنفسجية والسينية والجامية وغيرها من فوتونات الطاقة التي قد تتجسد إلى مادة وبالعكس، في أعظم قانون عرفته البشرية يوحد المادة بالطاقة، وهو قانون أينشتين المستنتج من النظرية النسبية الخاصة كأعظم قانون فيزيائي عرفته البشرية في القرن العشرين:

الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء

وعلينا كمسلمين أن نؤمن بوحدة الخلق لأن الخالق واحد. إنها وحدة شاملة تجري في هذا الكون على اختلاف الصور، فهي تجري في أرض وفي سماء لأنها وحدة الوجود، ووحدة الحياة من الماء، وشمولية الزوجية في الكون، والتماثل في بناء الأبدان من الديدان إلى الجرذان إلى الإنسان؛ ولهذا فإنني لا أتصور قيام حياة في أي كوكب بدون الماء والكربون، كما أنني مقتنع بوجود حياة مثلنا على كواكب أخرى في الدنيا، ومقتنع ببعثنا جميعا من جديد في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس].

وتمسكي بالكربون والماء كأساس لنشأة الحياة عموما في أرجاء الكون ليس عجزا للخالق،- حاشا لله- ولكنه سبحانه قادر على تنويع الأصول وأمره إذا أراد أن يقول له كن فيكون، ولكن الله أخبرنا بضرورة الماء، ثم وجدنا الكربون أنسب العناصر مع الماء لقدرته على تشكيل المركبات العضوية الحيوية علميا، وبهذا استنتجنا حتمية التماثل في أصول الحياة هنا وهناك طبقا لقواعد إسلامية المعرفة، ولا يعني تماثل نمط الحياة في أرجاء الكون من مركبات الكربون في وجود الماء أننا سنجد في الفضاء نسخة مطابقة تماما للحياة التي نعرفها على سطح الأرض، ولكننا قد نجد صورا مختلفة وأشكالا متنوعة لا نعلم عنها شيئا رغم اتفاقها في الأصل العضوي والمائي، والمهم هو وحدة الأصول ووحدانية الخالق في السماء والأرض، وصدق تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف]

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم].

لغز اللقاء مع أهل السماء:

يتساءل الجميع: هل توجد ظروف مناسبة تسمح بنشأة الحياة على الكواكب الأخرى في مجموعتنا الشمسية؟ والجواب على ذلك أنه توجد بضعة كواكب تقع في حزام الحياة في هذه المجموعة وأهمها كوكب الأرض لأنه الوحيد الذي يتميز بوجود غلاف حيوي عليه. وكما رأينا فإن الحياة لا بد لها من الماء في صورة انسيابية ودرجة حرارة مناسبة للكائنات الحية ما بين الصفر والمائة درجة، وأن هذا النطاق الحراري يوجب أن يكون حزام الحياة في المجموعة الشمسية واقعا بين مداري الزهرة والمريخ، ويشمل هذا الحزام الأرض وقمرها، وحيث إن القمر أقرب الجيران ولا يوجد به غلاف جوي وليس به حياة فقد اتجهت الأنظار إلى كل من كوكبي الزهرة والمريخ للبحث فيهما عن حياة، أما كوكب عطارد فهو عالم محرق تلعقه ألسنة الشمس؛ ولهذا فقد استحالت الحياة على سطحه علاوة على انعدام غلافه الجوي، أما كوكب الزهرة المعروف مجازا بنجم الصباح والمساء نظرا لالتماعه وجماله؛ ولذلك أطلق عليه الرومان إله الحب والجمال venus، وهو يشبه الأرض، وكتلته $\frac{٤}{٥}$ كتلتها، وكثافته $\frac{٩}{١٠}$ كثافتها، وقطره يتساوى

تقريبا مع قطر الأرض، ويبعد عن الشمس ١٠٨ مليون كم، ويدور حولها في ٢٢٥ يوما، وحول نفسه في ١ ,٢٤٣ يوما. ولقد تعددت المحاولات لاستكشاف الزهرة بما يقرب من نحو سبع عشرة سفينة آلية فينوس (٤ إلى١٠) ومارينر٢ وفينيرا ٤، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦. وقد دار بعضها حول كوكب الزهرة علي حين استطاع بعضها الآخر أن يهبط علي سطحها الذي اتضح أنه مغطى بسحب كثيفة يميل لونها إلى الصفرة جعلته عاكسا قويا (يعكس حوالي٧٦٪ من ضوء الشمس، بينما القمريعكس٧ ٪)؛ ولهذا فالكوكب واضح وشديد اللمعان في السماء ويمكن رؤيته فور غروب الشمس وعند الشفق.

ولقد تم تصوير سطح الزهرة راداريا وتحليل تربته آليا، فتبين كثرة السهول والوديان وصخور البازلت البركانية، وتبلغ درجة حرارة سطحه ٤٨٠ْم وهيدرجة بالغة الارتفاع تكفي لصهر بعض الفلزات، ويرجع هذا الارتفاع الكبير في درجة الحرارة إلى وجود نسبة كبيرة جدا من غاز ثاني أكسيد الكربون في غلافه الجوي، ممايجعله يشبه الصوبة الزجاجية؛ لأن هذا الغاز يمنع تسرب الحرارة من سطح الكوكب إلى الفضاء الخارجي، فيحتفظ بهذه الحرارة في غلافه الذي يحتوي أيضا علي آثار قليلة من الأكسچين والأيدروچين والنتروچين وبعض النوشادر، وقد تم مؤخرًا اكتشاف كميات ضئيلة جدا من بخار الماء في هذا الغلاف الغازي الكثيف ولكن الماء لايوجد في حالته السائلة بسبب تبخره، ويصل الضغط الجوي على سطحه ١٠٠ مرة قدر الضغط الجوي المعتاد عند سطح الأرض مما يشكل خطورة علي السفن الجوية الهابطة فوق سطحه وإعاقة لحركة الأجسام فوقه وحركة تيارات هذا الغلاف.

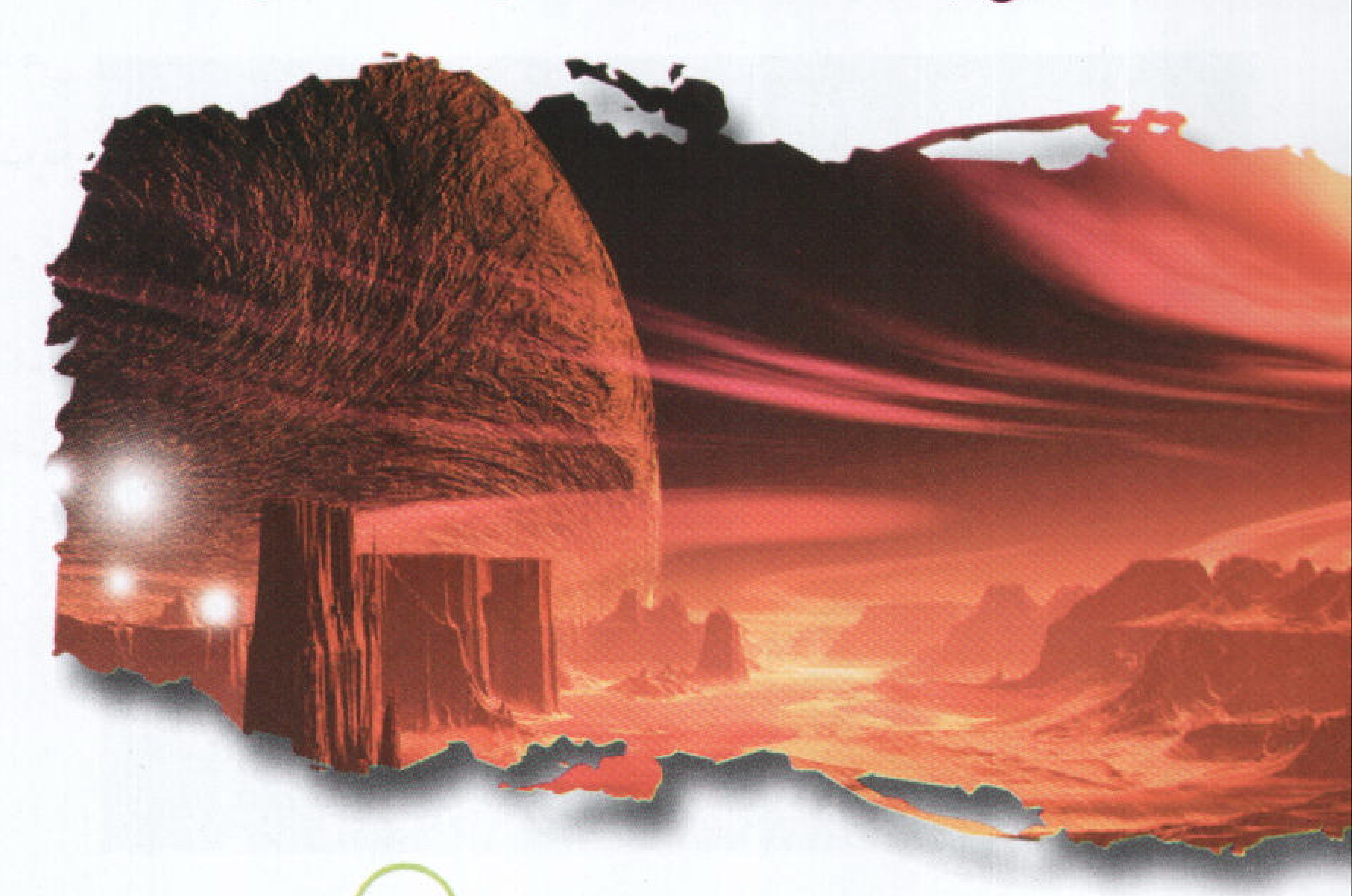
والزهرة عموما كوكب موحش ينتشر الظلام علي سطحه رغم أنه يلمع في السماء كمرآة تعكس ضوء الشمس ، ويخلو تماما من الماء، علاوة علي سخونة السطح، وارتفاع الضغط، مما يجعله خاليا من الحياة، بل وإن هذه الظروف لا تسمح حتى بنشأة الحياة عليه مستقبلا.



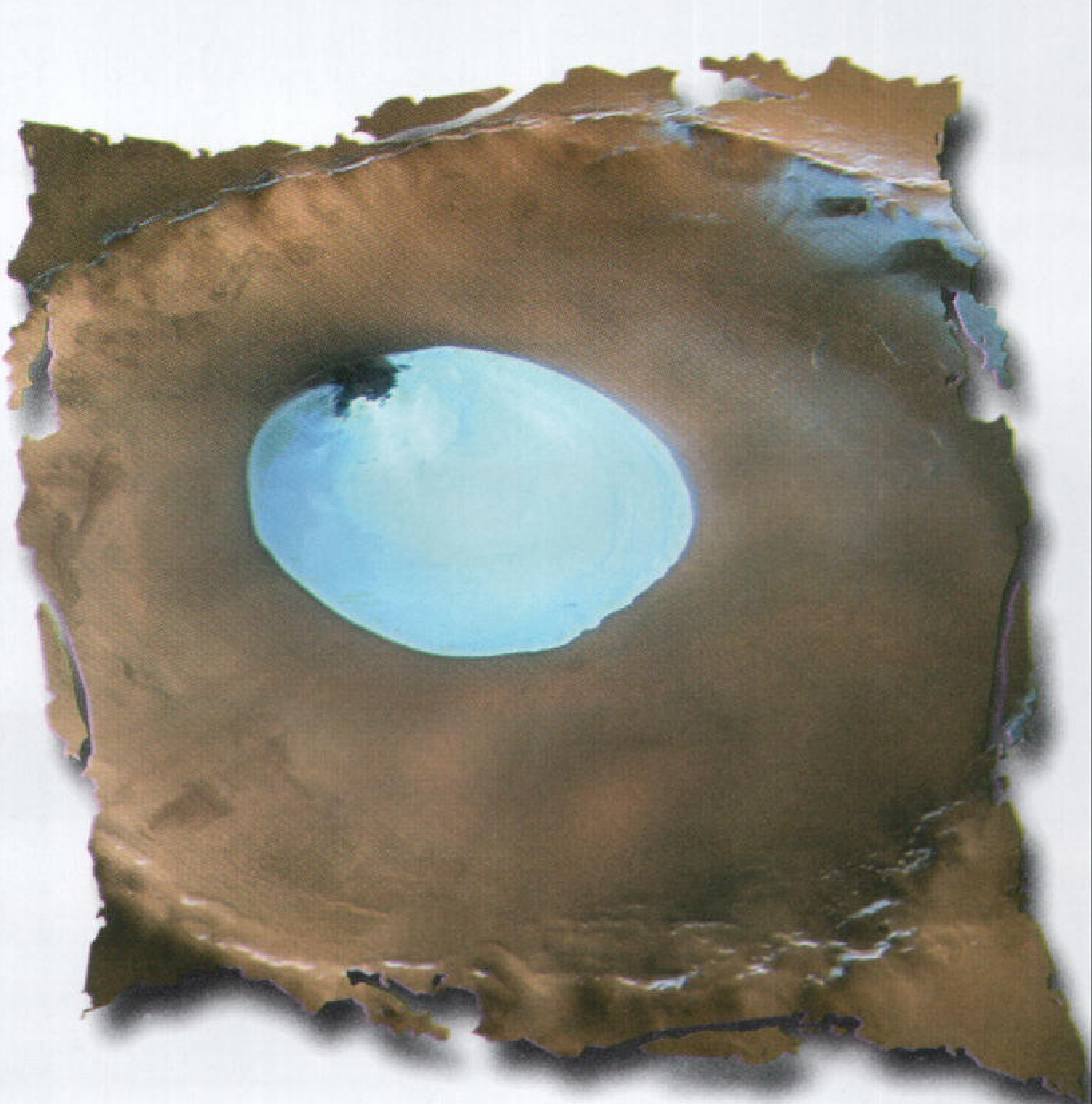
وبالنسبة للمريخ فهو يدور حول الشمس على بعد ٢٢٨ مليون كم في المتوسط في مدار أكبر من مدار الأرض في زمن قدره ٦٨٧ يوما أرضيا ويدور حول نفسه في ٢٤ ساعة، ٣٧ دقيقة، ٢٣ ثانية، ويظهر لنا في السماء على هيئة جرم أحمر اللون ناحية الجنوب، وهو أصغر من الأرض ويبلغ حجمه $\frac{١}{٧}$ حجمها ، وكتلته $\frac{١}{١٠}$ كتلتها، وكثافته $\frac{٧}{١٠}$ كثافتها، ويميل محوره على مستوى مداره ٢٥° م وبذلك يشبه الأرض في تعدد الفصول أي الصيف والخريف والشتاء والربيع كل منها ٦ شهور تقريبا، ويدور حوله قمران صغيران هما ديموس وفوبوس.

ونظرا لبعد كوكب المريخ عن الشمس فإن سطحه لا يتلقى من حرارة الشمس إلا نحو نصف ما يتلقاه سطح الأرض من حرارتها؛ ولذلك فإن سطح المريخ أبرد كثيرا من سطح الأرض حيث تنخفض الحرارة على سطحه إلى ٨٠°م، وهي درجة شديدة الانخفاض يتجمد عندها غاز ثاني أكسيد الكربون متحولا إلى مادة صلبة تشبه الثلج، ولا يعكس سطح المريخ إلا ١٥٪ من ضوء الشمس الساقط عليه؛ ولذلك فهو أقل لمعانا من الزهرة.

ولقد أثار المريخ اهتمام الكثير من علماء الفلك وكثير من الناس فهو يبدو في المنظار قرصا مستديرا أحمر اللون، ويظهر على سطحه كثير من الخطوط والعلامات التي تتغير من فصل لآخر، وقد ألهبت هذه التغيرات المصاحبة للفصول خيال الكثيرين وخاصة بعد اكتشاف طاقيتي الثلج على قطبي الكوكب وملاحظة تحرك بعض السحب أو ما يشبه الضباب في جوه، فاعتقد الجميع بوجود حياة على سطحه، بل وإن سكان المريخ في خيال البعض أكثر ذكاء من سكان الأرض.



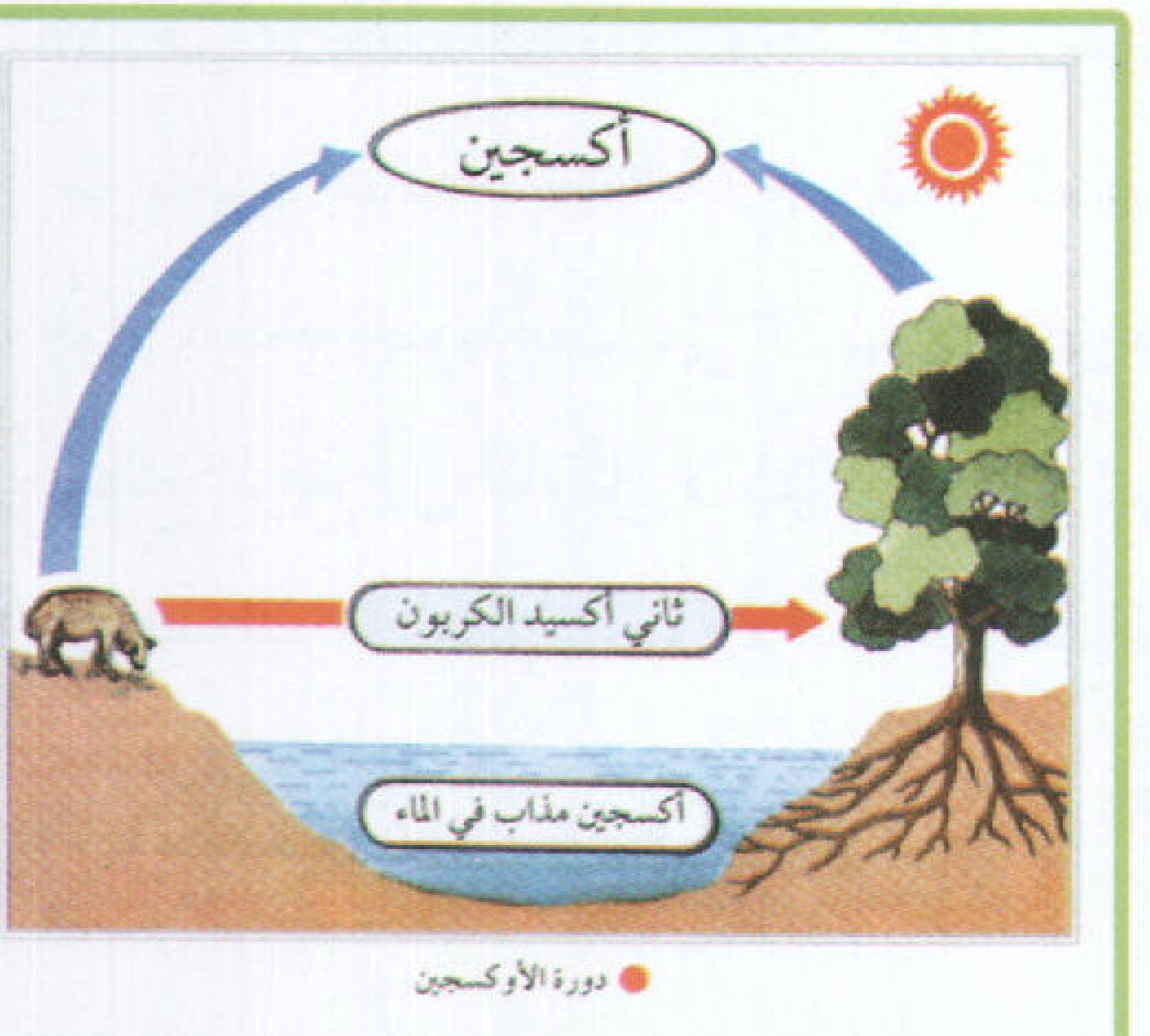
لهذا أرسلت السفينتان فايكنج ١،٢ عام ١٩٧٦م والسفينة مارينر ٩٪ وقامت هذه السفن بإرسال العديد من الصور الفوتوغرافية لسطح المريخ. ولقد تبين من هذه الصور أن سطح المريخ أكثر وعورة من سطح الأرض، وتنتشر على سطحه التلال والهضاب وبعض الأخاديد العميقة والبراكين العالية، ويصل ارتفاع أحد الجبال البركانية ويسمى أوليمبوس إلى ٢٤ كم على سطحه، وهو ارتفاع يزيد عن ارتفاع أعلى جبال الأرض في قمة إيفرست بالهملايا بنحو ٣ مرات، ويبلغ اتساع فوهة جبل المريخ أوليمبوس بدائرة قطرها ٧٠ كم، وأوضحت الصور الكثير من الأخاديد والشقوق التي بلغ عمق أحدها $\frac{1}{2}$٦ كم، واتساعه ٢٤٠كم، علما بأن أكبر أخاديد الأرض (جراند كاثيون) بأمريكا لا يزيد عمقه عن $\frac{1}{2}$١ كم واتساعه عن ٢٨ كم. ولقد تخيل العلماء أخاديد المريخ أنهارا تتدفق بالمياه، ولقد تبين من صور فايكنج التي هبطت على سطحه أنه مغطى بغبار ناعم برتقالي اللون ينتشر بعضه على هيئة ضباب رقيق يساعد على تشتت ضوء الشمس في جو المريخ بدرجة أكبر من جو الأرض مما يجعله أكثر نورا، وتظهر سماؤه بلون وردي يميل للبرتقالي في جو يتكون أساسا بنسبة ٩٥٪ من ثاني أكسيد الكربون وبارتفاع ٥٠كم فوق سطحه محتويا أيضا على ٣٪ نتروجين وعلى ١٪ أكسچين، ولا يخلو سطح المريخ من الماء بل لا يزال به قدر كبير منه في حالته المتجمدة مختلطا بتربة الكوكب، ولا يوجد الماء بهيئته السائلة؛ نظرا لأن الحرارة تصل إلى ٦٨°م عند الفجر، ولا تزيد عن -١٣°م عند الظهر؛ ولهذا ينتشر الجليد عند القطبين وداخل تربته.



ويتضح مما تقدم أن الظروف السائدة على سطح كوكب المريخ غير مناسبة لوجود الحياة، فالماء متجمد، والغلاف الجوي رقيق لا يحمي سطحه من الإشعاعات الضارة مثل الأشعة فوق البنفسجية، كما أنه لا توجد به سوى نسبة ضئيلة من الأكسچين.

وعلى الرغم من ذلك يعتقد علماء بيولوچيا الفضاء Exobiology أن أنواعا خاصة من الكائنات الحية الأولية الدقيقة قد تستطيع أن تتحمل هذه الظروف الصعبة. لهذا قام البعض بإجراء تجارب لاختبار مدى تحمل هذه الكائنات لظروف مشابهة تم توفيرها في معمل أرضي، واتضح أن عددا كبيرا من هذه الكائنات وبعض أنواع النباتات العليا استطاع فعلا تحمل الظروف المشابهة للمريخ، كما قام هؤلاء العلماء ببعض التجارب في معمل أرضي للاستدلال على إمكانية تكون بعض المواد العضوية تحت ظروف مشابهة لكوكب المريخ، وذلك بتعريض خليط من غاز أول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء للأشعة فوق البنفسجية فوق تربة تامة التعقيم من مسحوق الزجاج وتخلو تماما من أية آثار للمواد العضوية، وعند تحليل العينة في نهاية التجربة تبين أنها تحتوي فعلا على خليط من المواد العضوية التي تتكون جزيئاتها من الكربون.

ورغم هذا فلم تقطع كل هذه التجارب الأرضية بوجود الحياة على سطح المريخ؛ لهذا كان على علماء بيولوچيا الفضاء أن يلجأوا إلى وسائل مباشرة بالقياس



دورة الأوكسجين

في معمـل يهبط على سطح المريخ، وأرسلوه فعلا على متن سفينة فايكنج الشهيرة ونجحوا (من على بعد) في إجراء ثلاثة اختبارات على سطح المريـخ، منهـا تجربة الإطـلاق الحراري لتبين مدى إمكانية وجود كائنات حية تستطيع امتصاص ثاني أكسيد الكربون من جو المريخ كما يفعل النبات على الأرض لصنع الغذاء، وتم أيضا إجراء تجربة الانطلاق، أي أن هل هناك من يستهلك الغذاء على سطح المريخ؟ وأخيرا تجربة التبادل الغازي أي فحص التغيرات التي يمكن أن تحدث في الجو نتيجة وجود بعض الكائنات الحية على سطح المريخ. ولقد قام العلماء بمراجعة هذه النتائج وتكرارها مرات ومرات على سطح المريخ ولكنهم لم يستطيعوا أن يجزموا بوجود أي نوع من الحياة، بل إن تربة المريخ تخلو تماما من بقايا المواد العضوية.

ولم يفقد العلماء الأمل، وقد قامت هيئة الفضاء الأمريكية (ناسا) بإعداد سفن فضاء آلية جديدة مزودة بتجهيزات أحدث للهبوط على سطح المريخ، بل إن الهيئة أعدت مشروعا لإرسال الإنسان للمريخ في مطلع القرن الحادي والعشرين بحثا عن الحياة على سطحه، بل ويفكر العلماء في إذابة جليد قطبي المريخ لتوفير الماء على سطحه ومحاولة رش سطحه ببذور نباتات تستفيد من ثاني أكسيد الكربون الموجود في جو المريخ .

فهل ضاقت الأرض بنا لنزرع المريخ! بينما نحن نفعل النقيض ونفسد الأرض بإزالة مساحات كبيرة من المراعي والغابات وحرق ملايين الأطنان من الوقود التي تحولت إلى مئات الملايين من الأطنان من غاز ثاني أكسيد الكربون السام الذي منع تسرب حرارة الأرض إلى الفضاء الخارجي فارتفعت حرارة كوكبنا، مما سيؤدي إلى كوارث خطيرة على كوكب الأرض، وصدق تعالى بقوله سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم]



فهل سيرجع الإنسان عن إفساد كوكب الأرض وتلويث بيئته بدلا من الاتجاه إلى المريخ لاستزراع سطحه وتعديل جوه السام؟.

وهل سيصل إلينا أهل السماء في الأطباق الطائرة قبل أن نصل نحن إليهم في رحلة بشرية أو آلية؟ وهل نحن وحدنا في الكون؟ من المؤكد -في تقديري- أننا وحدنا في المجموعة الشمسية؛ لأن المريخ غير مناسب لحياة ذكية، وكذلك كواكب المشتري وزحل ويورانوس وبلوتو، وتوابعها من الأقمار غير مناسبة؛ لانخفاض درجة الحرارة على سطوحها والظروف القاسية التي تستحيل معها الحياة[1]؛ ولهذا يتجه العلماء حاليا بالبحث عن حياة عاقلة خارج مجموعتنا الشمسية.

٣- احتمالات الحياة في كواكب الشموس الأخرى:

رأينا بعد دراسة الكرة الأرضية باعتبارها كوكبا، ودراسة الكواكب السيارة الثمانية الأخرى التي تدور حول الشمس وأعني المجموعة الشمسية، ودراسة النجوم أي الشموس وهي بلايين البلايين لا يحصرها عد، ودراسة المجرات التي تجمع النجوم في منظومات،أن لغز الحياة يظل قائما وأن السؤال يظل مطروحا في استفهام أزلي: هل يوجد في هذا الكون الشاسع أرض مثل أرضنا وناس كهؤلاء الناس، وحياة كهذه الحياة؟

سؤال يفرضه تماثل الكون وتدفع إليه الفطرة.

ومن أجل هذا عُنِيَ الناس بالبحث أولا في الكواكب السيارة في مجموعتنا الشمسية، وامتنع علينا رغم التقدم العلمي في عصر الفضاء أن نعثر على الحياة فيها، وحسبنا أن على المريخ حياة ثم نال الظن ارتياب.

وحاولنا أن نرى سطح الزهرة عروس السماء وأقرب الكواكب إلينا، فحال جوها دون ذلك؛ لأنه كثيف يسدل عليها نقابا، فأرسلنا السفن الفضائية فلم تجد للحياة على الزهرة أثرا.

وتبين بما لايدع مجالا للشك انفراد الأرض بالحياة في مجموعتنا الشمسية كما شرحنا سابقا.

وتبين لنا أيضا أن عماد الحياة هو الماء والكربون بالإضافة إلى عدد من عناصر أخرى صغيرة المقدار كالنتروچين والفوسفور والكبريت وغيرها، وأما حياة يكون عمادها غير ذلك فلا نعرفها، وليس معنى هذا أننا ننكرها فجهل الشيء لا يدعو إلى إنكاره، فقد تكون حياة الملائكة من نور وحياة

---

(١) راجع كتاب: نجم الشمس في السماء الدنيا للمؤلف في هذه السلسلة.

الجن من نار، ومع هـذا فلا إثبات ولا إنكار، ولكننا نركز فقط على حياة الطين والماء على الأرضين الأخرى التابعة لنجوم أخرى غير الشمس في مجرتنا والمجرات الأخرى التي تعد بالبلايين.

ونحن نعلم أن مجرتنا وحدها تحتوي على نحو ١٠٠ ألف مليون نجم أغلبها نجوم مزدوجة، فلو افترضنا أن ١٪ فقط نجوم منفردة مثل الشمس يصبح لدينا ألف مليون نجم شبيه بالشمس في مجرتنا، ولو افترضنا أن عشر هذا المقدار تدور حوله كواكب يصبح لدينا ١٠٠ مليون نجم من هذا النوع، ونفترض أن ١٪ فقط من هذا العدد يتبع كل منها أرض مثل أرضنا فيصبح لدينا مليون أرض فقط في مجرتنا وحدها،لكل منها ماؤها وحياتها.

ويتكرر ذلك الإحصاء في كل مجرات الكون التي تعد بالبلايين فنحصل بذلك على الأقل على ألف مليون مليون أرض في هذا الكون.

وإذا كانت هذه التقديرات أعلى من الحقيقة ألف مرة فرضا فإن لدينا مليون مليون أرض في هذا الكون على الأقل عليها عدد لا حصر له من البشر العاقلين مثلنا شعوبا وقبائل تعبد الله -سبحانه- ويتمتعون بذكاء قد يفوق ذكاءنا، بالإضافة إلى أشكال الحياة الأخرى المسخرة لهم من نبات وحيوان على أرضهم.

ويتبين لنا من هذه الإحصائية البسيطة أن احتمالات وجود الحياة على أرضين أخرى قائمة ولا يستطيع أي عاقل أن ينكرها، وهذه الأرضين قد تعد بالبلايين.

إن الفرض القائل بأن الجنس البشري هو مستودع الذكاء والفطنة الوحيد في الكون، أو القائل بأن الأرض

هي الجرم السماوي الوحيد الـذي نشأت الحيـاة على سطحـه، فرض خاطئ علميا تماما مثل الفرض القديم الخاص بسكون الأرض واستواء سطحها.

يقول فريد هويل، وهو من أعظم علماء الفلك المعاصرين: أعتقد أن الذكاء منتشر في الكون، وأن هناك شبكة ضخمة من الاتصالات عبر المجرات بين الأرضين المتطورة، ونحن نبدو وسط هذا كسكان الغابات والأدغال الذين لم يعرفوا بعد شيئا عن التليفون، وعلى هذا لا يجب أن تصدمنا الفكرة القائلة أن سكان كوكب آخر من مجموعة نجمية أخرى سوف يطرقون بابنا يوما وقد يطلبون منا الدخول معهم في مفاوضات تجارية (أو الانضمام لاتفاقية الجات) ومن يدري؟ ليت لنا حاليا علم اليقين! ولننظر فقط في هذه التوقعات العلمية المبشرة بوجود أرضين أخرى ونتساءل: أيكون لنا هذا اليقين أم لايكون، وهو إن حدث فمتى يكون؟.. على أية حال فإن اليقين موجود في كلمات الله في القرآن الكريم ليرد على كل هذه التساؤلات تارة بالإشارة وأخرى بصريح العبارة،قبل أن يصل العلم إلى جواب في واحدة من أهم قضايا الكون.

وحتى نلتقي مع كتاب الله في البندين ٤، ٥ نسأل كيف يمكن علميا الاتصال بالحضارات الأخرى؟ والجواب على ذلك كما يلي:

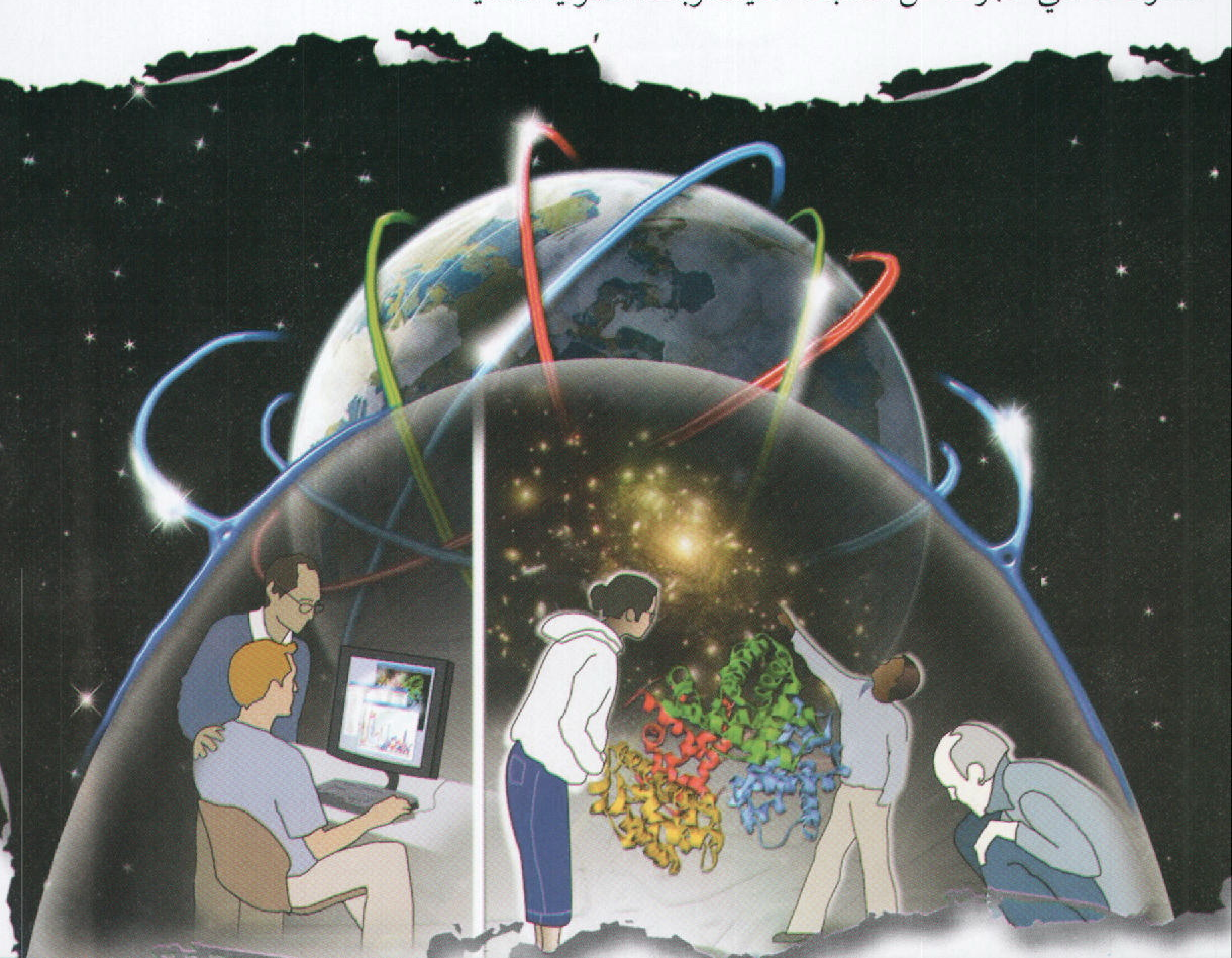
أولاً- البريد الفضائي:

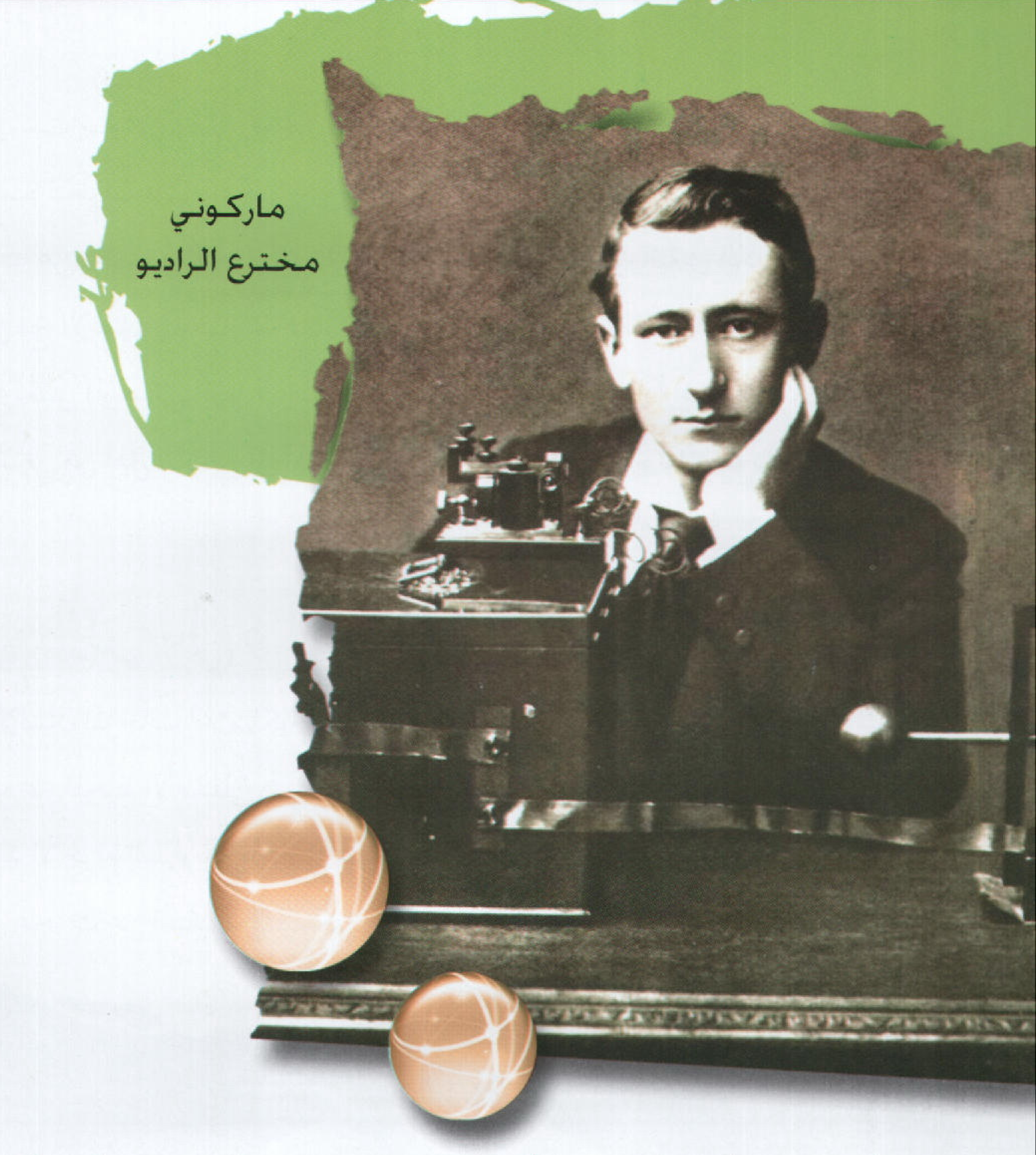
أي إرسال بعض الرسائل (كشفرة خاصة يمكن إدراكها) إلى سكان الأرضين الأخرى على متن بعض سفن الفضاء الآلية حيث توضع في الرسالة كل المعلومات عن سكان أرضنا من البشر وعن نشاطهم وعلومهم وتقدمهم وإمكانياتهم ونتركها تسبح في الفضاء حتى تقع يوما في رحاب من يستطيع تلقي هذه المعلومات ويرد عليها ... وقد تصبح هذه السفن وما عليها من رسائل أثرا يدل سكان السموات على وجود الإنسان في الزمن الماضي السحيق؛ لأنها قد تصل إليهم بعد عدة آلاف سنة بالهبوط على أقرب كوكب تابع لأقرب نجم. ومن يدري ماذا يحدث خلال هذه الفترة فقد يفقد الإنسان عقله ويقضي على كوكبه في حرب نووية عالمية لا تبقي ولا تذر سوى الأطلال ليصبح ذكرى بعد أن عز اللقاء بل ومثالا لمنتهى الغباء يدركه ويتعجب له الزوار من الأحياء القادمين من الفضاء عند وصولهم للأرض؛ وقد أصبحت لا قدر الله حصيدا كأن لم تغن بالأمس!!

ولقد أرسلت سفينتا الفضاء فويجر ١، ٢ عام ١٩٧٧م لتغادر كل منهما مجموعتنا الشمسية في بداية التسعينيات؛ لتجوب فضاء المجرة وعلى كل منهما أسطوانة من النحاس المغطى بالذهب، مسجلا عليها معلومات عن الحمض النووي DNA الذي يحمل الصفات الوراثية في الكائنات الحية بأرضنا، ومعلومات عن مخ الإنسان وحضارته، علاوة على تحية خاصة لسكان الفضاء بنحو ستين لغة من لغات أهل الأرض، وبعض الموسيقى، فهل ستصل الرسالة إلى عقلاء آخرين في أرضين أخرى، ومتى سيصل هذا البريد الفضائي من أهل الأرض إلى أهل السماء؟ إننا نحاول أن نعلم ولكن الله دائما أعلم.

ثانياً - الإرسال و الاستقبال الراديوي :

عرف الإنسان الموجات اللاسلكية الراديوية عندما نجح ماركوني عام ١٩٠١م في إرسال إشارة تلغرافية راديوية عبر المحيط الأطلنطي، ثم تطور الإرسال بالراديو والرادار والتليفزيون، ثم التليسكوبات الراديوية فيرصد الأجرام السماوية وما يصل منها من أمواج راديوية ساهمت في الحصول على الكثير من المعلومات التي عجزت عن استقبالها التليسكوبات الضوئية العادية.





وفي منتصف القرن العشرين نشأت فكرة إرسال رسائل بالراديو إلى سكان الكواكب الأخرى بالأمواج الكهرومغناطيسية التي تنتشر بسرعة الضوء أي بالسرعة الكونية العظمى وقدرها في الفراغ ٢٩٩٧٩٢,٥كم/ث، كما استعدت المحطات الأرضية لاستقبال رسائل راديوية من أهل السماء يخطروننا فيها بوجودهم. وفي عام ١٩٦٠م تم استقبال نبضات كهرومغناطيسية منتظمة وظن الناس أنها من حضارات أخرى في مجرتنا، وتبين فيما بعد أنها خديعة راديوية تصدر من نجوم نابضة ولا علاقة لها بوجود الحياة العاقلة في المصدر المذكور.

ورغم هذا فأجهزة التنصت على العوالم الأخرى منتشرة الآن على كوكب الأرض منها أضخم تليسكوب راديوي على الأرض في أريكيبو ببورتوريكو وآخر في محطة جولد ستون بالقرب من بارستو في كاليفورنيا ومرصد جودربك بلندن وغيرها، وهذه كلها مرتبطة بشبكة عالمية من التليسكوبات

الراديوية للبحث عن العوالم الذكية، علاوة على مشروع ناسا للبحث عن الذكاء الكوني NASA - SETI الذي تكلف مائة مليون دولار على أمل استقبال موجات راديوية صادرة عن كائنات ذكية في أرضين أخرى، هذه الموجات قد تكون بدأت رحلتها تجاه الأرض بأعلى سرعة كونية (سرعة الضوء) قبل يوم واحد أو قبل آلاف أو ملايين السنين نظرا لاتساع الكون واستمرار توسعه حتى الآن.

ولقد تم فعلا تطوير طبق (دش) أريكيبو لزيادة حساسيته بنسبة ٣٠٠٪، وتصميم برمجات غير عادية لترجمة الإشارات الواردة. ويقول العالم الفلكي دريك (الذي كان عام ١٩٦١م أول من بدأ التنصت على نجمي إيبسلون إيريدياني وتاوسيتي المجاورين لنا أملا في العثور على رسالة من كواكبهما):

"لا شيء يعذبني أكثر من فكرة أن رسائل راديوية صادرة من حضارات غريبة في الفضاء تعبر وتخترق مكاتبنا وبيوتنا الآن مثل همسة لا نستطيع سماعها بالضبط رغم وجودها حولنا"، وفي ١٣ يناير ١٩٧٩م نشرت الأهرام أنباء علمية تحت عنوان "الباحثون عن الحياة فوق الكواكب" جاء فيها: حمل عالم أمريكي البروفوسير روبرت جنجناك إلى القاهرة مقدمات نبأ قد يكون أكثر من هبوط الإنسان على القمر إثارة، حيث قال إنه شهد مع العلماء الإنجليز في مرصد جودريك قبل قدومه للقاهرة عملية التقطوا فيها إشارة ضوئية موجهة من الفضاء الخارجي يعتقدون أنها صادرة عن كائنات عاقلة تعيش خارج مجموعتنا الشمسية فوق كوكب لنجم بعيد وتقول ما نصه "نحن هنا.. من أنتم؟" ويعلق البروفوسير روبرت على ذلك قائلا: ليس معقولا أن ندعي أننا أهل الأرض وحدنا سكان هذا الكون الواسع الغامض.

ونظرا لطول الانتظار في التنصت أملا في استقبال إشارة راديوية من عقلاء أهل السماء، فقد قرر علماء الأرض استعجالهم بتوجيه رسالة أرضية إليهم من أكبر مرصد راديوي في أريكيبو التابع لجامعة كورنيل في بورتريكو بأمريكا عام ١٩٧٤م والرسالة شفرة بلغة الكمبيوتر C-B، علما بأن قطر طبق المرصد المذكور حوالي ٣٠٥ متر، ويستطيع أيضا أن يستقبل موجات الراديو الآتية من الفضاء الخارجي، ويقوم بتركيزها على هوائي خاص متصل بغرفة تحكم تقوم بتحليل هذه الموجات، وبهذا فالمرصد المذكور مرسل ومستقبل، ولكننا على الرغم من السرعة الهائلة للموجات الراديوية (اللاسلكية) في الفضاء والتي تمثل أقصى سرعة انتشار في الكون أي سرعة الضوء في الفراغ وقدرها ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ ث فإننا نعتبر أن هذه الطريقة في الاتصال بين الحضارات ليست مثالية، ولتوضيح ذلك نفترض ما يلي:

لو أننا أرسلنا مثلا رسالة راديوية مذاعة إلى أقرب نجم (ألفا قنطوروس) فإن هذه الرسالة ستحتاج

إلى ٣,٤ سنة حتى تصل إلى أحد كواكب هذا النجم إن وجدت هناك من يتلقاها ويفهمها ثم يرد عليها في الحال فيصل هذا الرد إلينا بعد فترة مماثلة، ومعنى هذا أن أي رسالة نبعثها اليوم سنحصل على إجابتها من أقرب جيران عقلاء في الكون (لو كانوا موجودين) بعد حوالي ٩ سنوات، فيا ليت شعري أي حوار هذا الذي يمكن أن يدور بسرعة الضوء بين سكان أقرب الكواكب لأقرب نجم، وما بالنا بسكان كواكب نجوم مجرة الأندروميدا التي تبعد عنا ٢ مليون سنة ضوئية لأننا لو خاطبناهم اليوم راديويا بسرعة الضوء فإن ردهم سيصل إلينا بعد ٤ مليون سنة لو كانوا أذكياء مهتمين بغيرهم، ولو افترضنا أنهم كذلك ولم يؤخروا الرد علينا لكثرة مشاغلهم فإن على أحفادنا بعد حوالي ١٢٠ ألف جيل انتظار هذا الرد!

وهذه حقيقة تحير علماءنا وتصيب بعضهم باليأس من وسيلة الاتصال الراديوي ولكن لا توجد على الإطلاق وسيلة أسرع من الضوء للاتصال وعلينا ألا نستسلم لليأس ونواصل التنصت والاستماع الراديوي لعل أهل السماء يخاطبوننا قريبا قبل وصول رسالتنا الراديوية إليهم والمنبعثة عام ١٩٧٤م من مرصد أريكيبو على فرض أنهم أكثر منا تقدما بل قد يصلون إلينا بأنفسهم في الأطباق الطائرة ليقوموا بزيارتنا وليتم التفاهم بيننا وبين هذه الكائنات العاقلة القادمة من أرضين أخرى، ولا أدري هل ستنجح المفاوضات معهم بينما نحن معشر البشر لم ننجح في تحقيق التفاهم بيننا على أرضنا حول المشاكل الصغيرة والكبيرة، الاجتماعية والعنصرية، لكن على الرغم من هذا فإن شعوب العالم ربما تتزايد وحدتها وسلامها وتفاهمها عند قدوم زوار الفضاء، حتى إذا ما واجهنا حضارة سماوية أخرى جعلتنا نفهم وضعنا الحقيقي، وعندئذ سوف نعلم أن كل الناس إخوة وأن تجربة الاتصال بأهل السماء تساوي ما بذلنا من تعب وسهر، وعندئذ أيضا نفهم معنى الآية القرآنية في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى]

والقرآن الكريم هنا يعطي الأمل في اللقاء المرتقب بين دواب الأرض ودواب السماء والله على جمعهم إذا يشاء قدير فلا داعي لليأس،ومن الضروري المثابرة على استمرار الاتصال بالحضارات السماوية فإذا كانت لديهم وسائلهم العلمية للاهتداء إلينا، فليس في الإمكان أن نهرب منهم، وليس علينا أن نحاربهم فيما نسميه حرب الكواكب،بل علينا أن نتعلم منهم الكثير،وربما يحذروننا من أخطائنا القاتلة مثل تلوث جو الأرض وتسمم مياه الأنهار وخراب الحرب النووية.

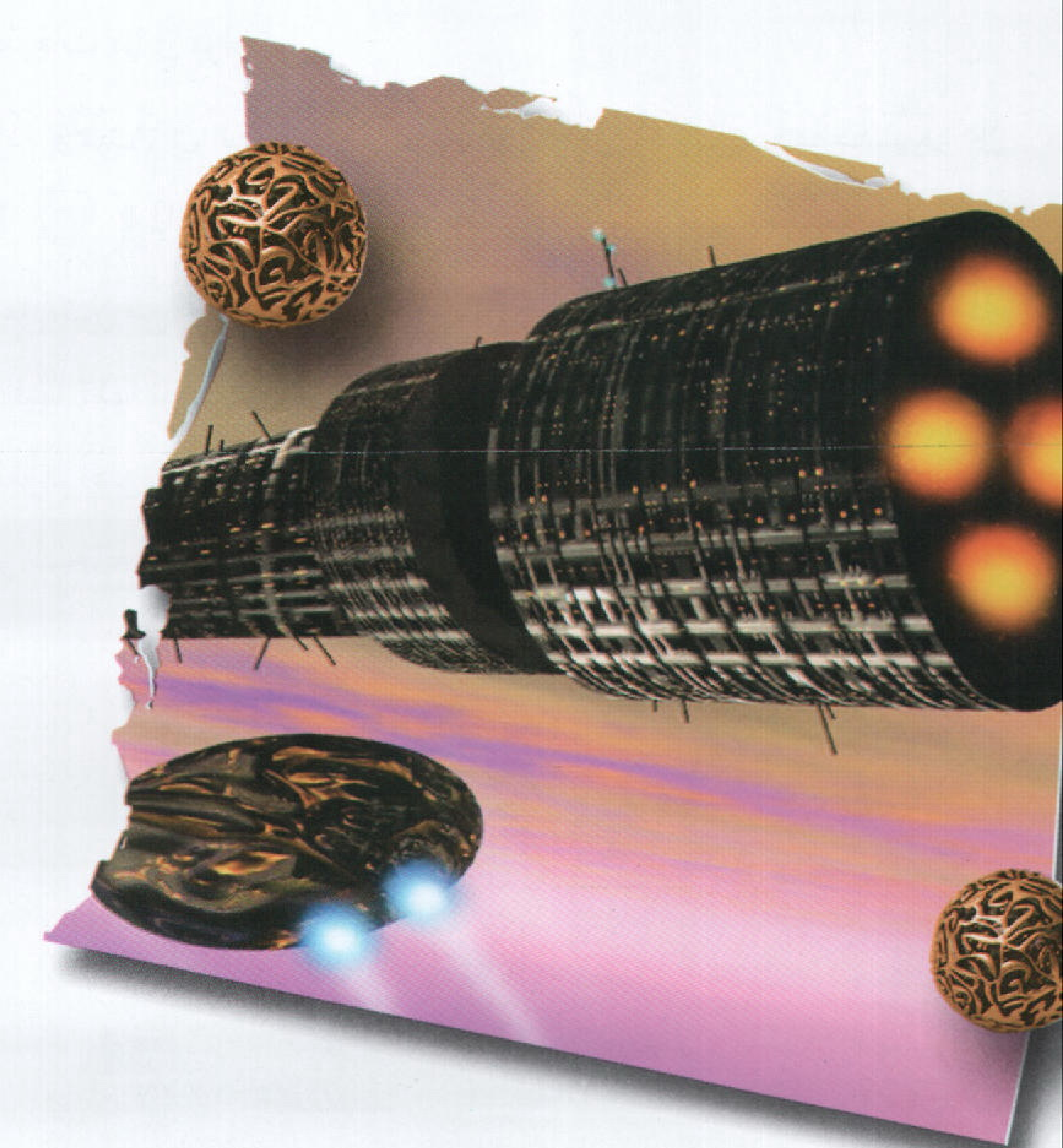
وإذا نحن أفلحنا في الاتصال بهم فقد نجدهم أكثر علما وتقدما وعندئذ نفهم وضعنا في هذا الكون، ومكاننا من سلم التطور الكوني، وربما يكون المولى -عز وجل- قد فضلهم عنا لأننا (رغم تكريمنا نحن معشر البشر) لسنا أفضل المخلوقات كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء].

فالتفضيل الإلهي هنا على كثير من مخلوقات الله وليس على جميعها، والبحر هنا يشمل بحار الماء والهواء والفضاء لأن الحركة فيها كلها توصف بالسباحة فهل سيركب الإنسان سفن الفضاء في اتجاه العوالم الأخرى؟ أم أن هذه العوالم أكثر تفضيلا عند الله وستبادر هي بزيارتنا بأطباقهم الطائرة المتطورة؟ والرد على هذا في علم الله وهو سبحانه على جمعهم إذا يشاء قدير.



ثالثا- ركوب سفن الفضاء إلى كواكب النجوم الأخرى؟



نحن نعيش حاليا عصر الفضاء، ولقد وصل الإنسان للقمر عام ١٩٦٩م، وسوف يصل -بإذن الله- في القرن القادم إلى المريخ بحثا عن الحياة على سطحه.. ولكن هل هناك رحلات بشرية تغادر المجموعة الشمسية في المستقبل بحثا عن الحياة في أرجاء الكون؟ والجواب على هذا يتضح من عرضنا للمسافات الشاسعة بين النجوم والسرعات المتاحة تكنولوجيا لسفن الفضاء، فمن المعروف أن سرعة سفن فويجر لا تزيد عن ٣٠ كم/ ث وهي سرعة كسيحة وتساوي $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ بالنسبة لسرعة الضوء؛ ولذلك لن تصل هذه السفن إلى أقرب كوكب تابع لأقرب نجم (ألفا قنطوروس) إلا بعد نحو ٤٠ ألف سنة في الوقت الذي يقطع فيه الضوء هذه المسافة في ٤,٣ سنة ذهابا فقط، وبهذا فإن هذه السفن المتاحة حاليا لا تصلح لحمل ركاب خارج مجموعتنا لأن حياتهم ستنتهي (مهما طالت أعمارهم) في السنوات الأولى لرحلة الفضاء.

وليس من المتوقع حاليا أن تزيد سرعة السفن النووية (مثل نموذج دايدالوس) عن عُشْرِ سرعة الضوء لتصل إلى ألفا قنطاوروس بعد ٤٣ عاما وهي مدة تقل إلى حد ما عن متوسط عمر الإنسان ولكن مثل هذه السفن لن تجدي في السفر للنجوم الأبعد عنا.

وليس من المتوقع أن تزيد سرعة سفن الفضاء إلى أكثر من نصف سرعة الضوء مهما تقدمت التكنولوجيا لنصل بها إلى أقرب نجم (قنطاوروس) في ١٥ ,٢سنة وهذه مدة معقولة ولكن إذا أطلقت مثل هذه السفن لتحملنا إلى نجم يبعد عنا مائة سنة ضوئية مثلا فإننا لن نصل إلى كوكبه إلا بعد ٢٠٠ سنة ذهابا، علاوة على ٢٠٠سنة أخرى للعودة وعندئذ يكون كل ركاب السفينة قد فقدوا الحياة لأن متوسط العمر ٦٠ - ٧٠ سنة، ولن يكون لتمدد الزمن عند هذه السرعة أي تأثير ولا مفر من الاقتصار على رحلات للنجوم المحيطة بنا فقط .

وهناك من يعتقدون إمكانية نجاح مثل هذه الرحلات لو تم تجميد الركاب في أول الرحلة وترك السفينة لتسير وحدها طبقا لبرنامج إلكتروني موجه ومحسوب ثم يعاد تدفئة ركاب السفينة تدريجا، ثم إيقاظهم عند نقطة الوصول، وكأنهم أهل الكهف أو أبطال قصة من قصص الخيال العلمي، ولكن التجميد مشكلة بيولوچية غير مضمونة العواقب.

ومن الأفضل أن نفكر في زيادة سرعة السفينة فلو تخيلنا أننا اقتربنا جدا من سرعة الضوء فإننا سنستفيد من ظاهرة تمدد الزمن؛ لأن أعمارنا سوف تطول عند هذه السرعات طبقا للنظرية النسبية لأينشتين،فقد تستغرق الرحلة إلى مجرة الأندروميرا (التي تبعد عنا ٢ مليون سنة ضوئية) خمسين سنة فقط ذهابا وإيابا بالنسبة لركاب هذه السفينة بهذه السرعة الهائلة، بينما يمضي على كوكب الأرض ٤ مليون سنة، وبذلك لن يجد الرواد عند عودتهم إلى الأرض أحدا ممن يعرفونهم لأن ٤ مليون سنة تعني انقضاء ١٢٠ ألف جيل على سطح الأرض منذ سفر الرواد الذين رغم صغر سنهم عند عودتهم بهذه السرعة الجبارة يعتبرون من أهل الماضي السحيق في نظر المقيمين على الأرض، وسبحان الباسط القابض للزمن.

ولا شك أن ظاهرة تمدد الزمن ستكون عونا هائلا لركاب هذه السفن الفضائية الفائقة السرعة لكي يقطعوا مسافات كبيرة جدا في الفضاء وهم مازالوا على قيد الحياة، وكأن هذه السفن أكسير الحياة الذي طالما تمني القدماء وجوده، فعلى كل من يرغب في إطالة عمره ومد سني حياته إلى المستقبل أن يسافر قليلا في الفضاء في إحدى هذه السفن المقتربة من سرعة الضوء كي يجد نفسه عند عودته إلى الأرض في قرن آخر من الزمان ليخبر أحفاد أحفاده إجابة السؤال الأزلي: هل نحن وحدنا في هذا الكون؟

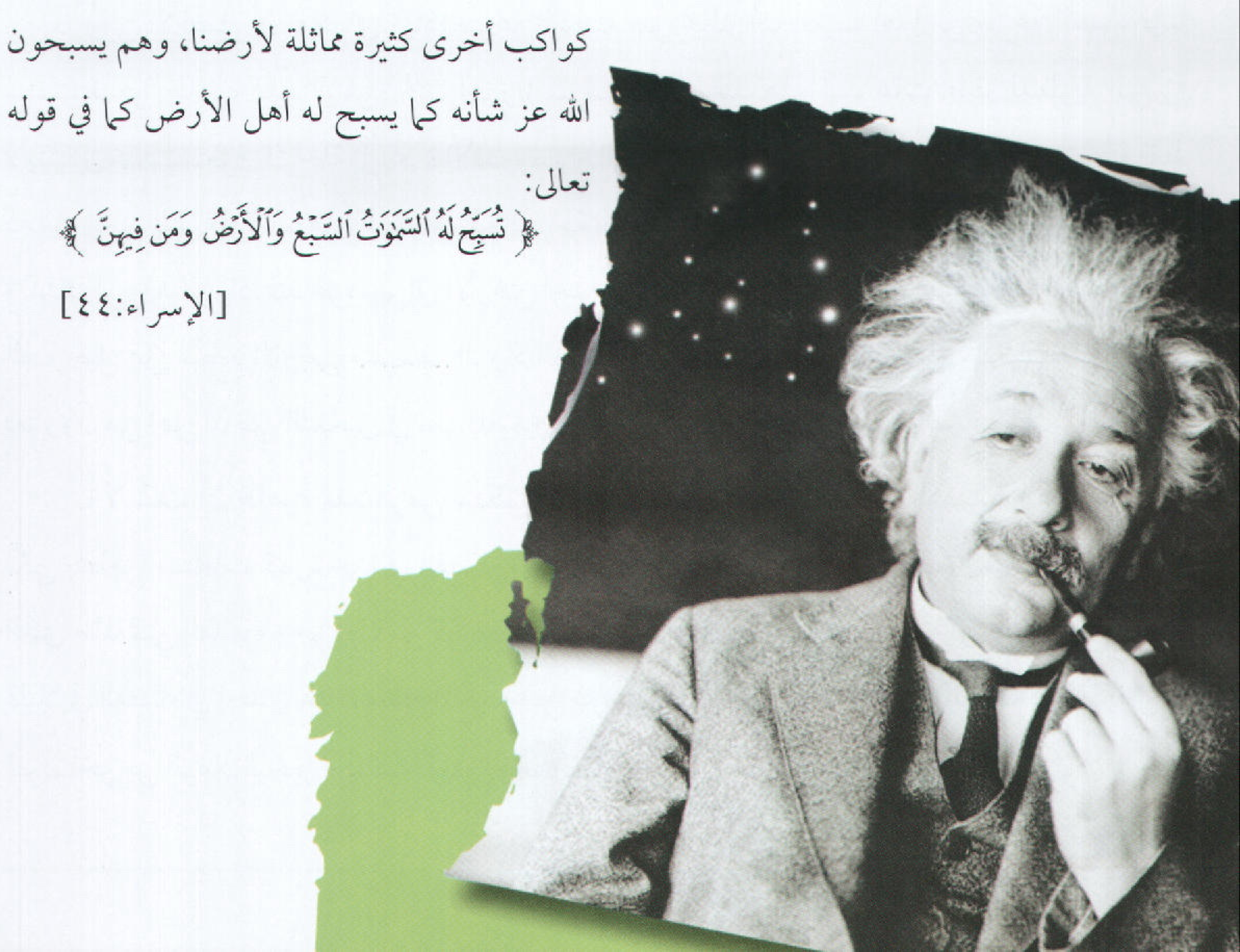
وقد يعود إلى الأرض ليجد أن كل شيء عليها قد تغير تماما فأهله قد ماتوا جميعا، ومدينته قد اختفت من على سطح الأرض في زلزال وحل محلها شيء آخر؛ لأن زمنه (وهو مسافر على متن هذه السفينة فائقة السرعة) قد أبطأ كثيرا، بينما سار الزمن سيرا طبيعيا على سطح الأرض فانقضت عشرات القرون على سكانها طبقا لنسبية أينشتين، التي تتوقع أيضا أمورا غريبة مثل انكماش طول السفينة طالما اقتربت سرعتها من سرعة الضوء، علاوة على ازدياد كتلتها لتصبح ما لا نهاية عند سرعة الضوء في الفراغ والتي لا يمكن أن نصل إليها تماما وإلا تحولنا كلنا إلى طاقة إذا قطعنا بها المسافات في تحدي وتجاهل لما سيحدث لنا عند هذا الحد الأقصى للسرعة. وأعتقد أن الآية الكريمة التالية تشير ـ والله أعلم ـ إلى مصاعب هذا الانطلاق الغريب بل والمستحيل بالسرعة العظمى كما في قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج]

ويبحث العلماء الآن عن وسائل الوصول إلى حوالي ٩٩٪ من سرعة الضوء باستخدام مركبات بالدفع النووي أو الفوتوني أو الأيوني، وعندئذ تتحقق لنا زيارة أرضين أخرى على الأقل في مجرتنا لنرى أن الإنسان ليس هو الكائن العاقل الوحيد في هذا الكون، وأن هناك كائنات أعقل وأذكى تعيش على كواكب أخرى كثيرة مماثلة لأرضنا، وهم يسبحون الله عز شأنه كما يسبح له أهل الأرض كما في قوله تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾

[الإسراء:٤٤]



والأرض تعني هنا الكوكب العامر بالحياة وهي متعددة مثل السموات كما سنشرح قرآنيا فيما بعد، كما أن أهل الأرضين يسجدون لله -جل شأنه- طوعا وكرها كما في قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد:١٥]

وهؤلاء الساجدون المسبحون في السموات والأرض يتحدثون بلغات مختلفة فيعلم الله ما يقوله هؤلاء وهؤلاء لأنه العليم الخبير كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنبياء]

وهم يسألون الله يوميا فمنهم من يسأل الله الصحة إذا كان مريضا، والرزق إذا كان فقيرا، والولد إذا كان عقيما، والقوة إذا كان ضعيفا، والمغفرة إذا كان نادما، والعفو إذا كان تائبا، وهكذا تتغير حاجات العقلاء في الكون يوميا كما في قوله تعالى:

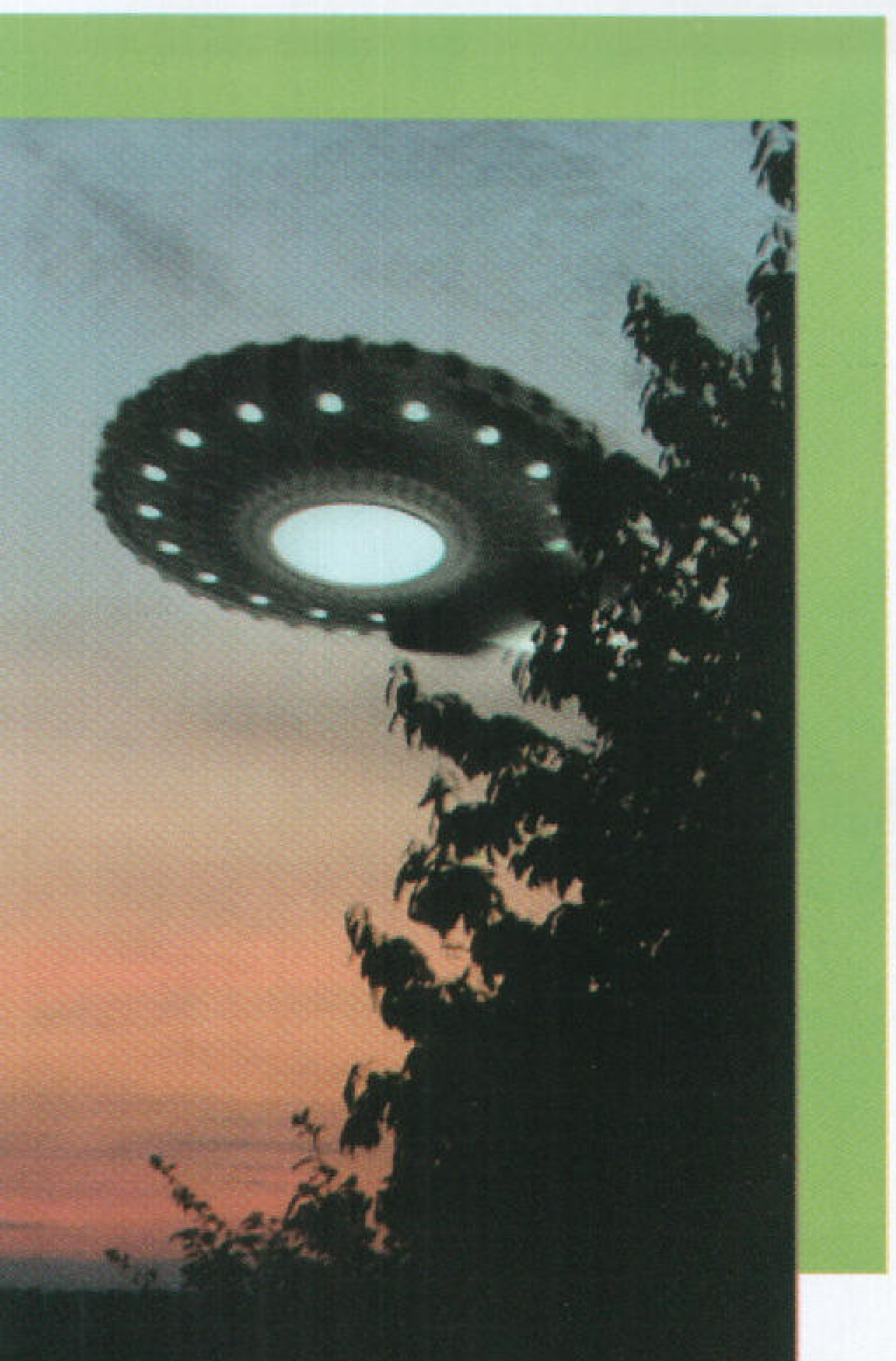
﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن]

وهناك آيات أخرى كثيرة - سوف نستعرضها - تؤكد بنص صريح، ولفظ واضح، وقول بليغ أن السماء تفيض بالحياة، وتزدحم بالأحياء، فهل فكر أحد سكان هذه الحضارات الأكثر تقدما منا أن يزورنا على أرضنا ليوفر علينا مشقة السفر بسرعة الضوء، وما هو لغز الأطباق الطائرة؟ وهل سيحدث لقاء أهل الأرض بأهل السماء؟



رابعاً: لغز الأطباق الطائرة

منذ منتصف القرن العشرين وإلى وقت قريب تناقلت وسائل الإعلام المختلفة في أنحاء العالم أنباء ظواهر غريبة، يتحدث عنها أشخاص يقولون إنهم رأوا أطباقا طائرة رأي العين، وبعضهم التقط لها صورا فوتوغرافية قد بدت لهم في جو الأرض في أوقات متفاوتة وظروف متباينة، وكان معظم هذه الظواهر يدور حول أطباق طائرة تبدو في جونا فجأة ثم تختفي فجأة دون أن تتاح لأحد فرصة التأكد منها بالدليل الملموس الذي يقبله العلم ويتقبله العقل، ونظرا للغموض الذي يحيط بهذه الأطباق فإن العلماء يسمونها الأجسام مجهولة المصدر؛ Unidentfiied Flying Objects U F O، وتعددت الروايات عن هذه الأجسام، وصدرت عدة مؤلفات عن الأطباق الطائرة وروادها من العالم الخارجي، وكان معظمها مغلفا بالخيال العلمي وبادعاء بعض الحوادث الغريبة التي توحي بأن هذه الأطباق وركابها قادرة على إحداث تأثير إشعاعي يفقد الذاكرة لكل من يقترب منها من أهل الأرض، وأن بها أجهزة تغير مجال الجاذبية والمغناطيسية في مكان هبوطها؟ ولا يتسع المجال هنا لسرد القصص الكثيرة التي تحدثت عن كائنات لها أربعة وجوه، وأجساد كالنحاس الأصفر، وكائنات أخرى بوجه واحد وثلاثة عيون، ولقد أوصيت ابني الدكتور يحيى وهو أخصائي عيون بعلاجهم مجانا عند وصولهم إلى أرضنا لبيان كرمنا الحاتمي، وتحدثت الأخبار عن مئات الحالات التي توقفت فيها السيارات عن العمل عند ظهور هـذه الأطباق، وعـن آثـار ضغط واحتراق في بعض الأماكن، وعن شهادة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر برؤية أحد الأطباق وقصة الطبق الذي استولى على طائرة بوينج ٧٠٧ ثم اختفى، والعثور على جثتين لهما أوصاف مميزة تقطع بأنهما ليسا من أهل الأرض، وإلى جانب هذه القصص والحوادث هناك عدد غير قليل منها تتفق جميعها على رؤية ظواهر غريبة، تتراوح ما بين أطباق طائرة، أو أضواء ساطعة، أو أجسام وكائنات غريبة الشكل، وتختلف من حيث المواقع والأمكنة والأزمان ومن حيث الأدلة والبرهان، والله أعلم بما ذكره أو تخيله شهود العيان!



وقد تم عقد أول مؤتمر دولي للأطباق الطائرة المجهولة الهوية U. F. O في أكابولكو ١٩٧٩م، الذي أوصى بإنشاء هيئة دولية استشارية علمية للبحث في هذا الموضوع والتحقيق في الروايات الواردة عنه، وتشكلت فعلا مراكز ومؤسسات ولجان لمراقبة الأطباق منها في أمريكا وحدها مركز دراسات الأطباق الطائرة CUFOS في ولاية إلينوي، ومنظمة أبحاث الظواهر الجوية APRO في أريزونا، واللجنة القومية للتحقيق في الظواهر الجوية NICAP، وشبكة الأطباق الطائرة المتبادلة MUFON بتكساس، ومراقبة الأطباق الأرضية GSW في أريزونا، ولجنة مناهضة السرية على الأطباق الطائرة CAUFS في نيويورك، ومكتب القرن العشرين للأطباق الطائرة في نيوجرسي، ومجلة ناشونال إنكوايرز بفلوريدا التي تمنح جوائز مالية لمن يقدم معلومات عن الأطباق الطائرة، وغير ذلك من هيئات عالمية مهتمة بهذه الظاهرة التي أصبحت شغلا شاغلا للناس المتشوقين لرؤية أهل السماء وأطباقهم الطائرة، يتناقلون أنباءها بكثير من الدهشة والتساؤل والذهول، وتختلف ردود فعلهم ما بين مصدق ومكذب، ومن هنا انطلقت التساؤلات.

هل الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال؟ هل تلك الظواهر الغريبة التي شوهدت في أجواء مختلفة من كوكب الأرض وَهْم أم واقع؟ وهل زارنا فعلا أهل السماء وأعني أهل الأرضين الأخرى في السموات؟ وهل تكون هذه الظواهر الغريبة والأطباق الطائرة سفنا فضائية جاءت من عوالم أخرى في هذا الكون العظيم؟ وإذا كانت هناك حياة في تلك العوالم فما هي الغاية من وصول تلك السفن الفضائية إلى كوكبنا وظهورها واختفائها فجأة؟ وهل نحن فعلا نتعرض لغزو خطير من عوالم أخرى؟ ومن أين تأتي هذه الأجسام الطائرة المجهولة التي تغزو الأرض؟ وهل الأطباق الطائرة ظواهر جوية خادعة أو نيازك وشهب أو سلاح سري لا ترغب الدول العظمي في الإعلان عنه؟

والسؤال الآن هو: أين هذه الأطباق وأدلتها؟ فرغم كثرة حوادث رؤية هذه الأشكال الطائرة

المجهولة في كثير من بلدان العالم إلا أن أحدا لم يقدم الدليل المادي بصورة علمية مقنعة لإثبات ما رأي؛ وأن الصور الفوتوغرافية التي لدينا لهذه الأطباق كان بعضها مزيفا والبعض الآخر غير مقنع ويثير الشك وعدم اليقين والاختلاط مع بعض الظواهر الجوية وخداع البصر، وأن الجثتين اللتين قيل إنهما لزوار من الفضاء لم يتبين لهما وجود على الإطلاق وأشيع أنهما في حوزة سلاح الطيران الأمريكي لإجراء دراسات سرية عليهما.

وبهذا يتضح أن القضية خطيرة، وفي تصوري أنه لا يجوز المبالغة في تحديد معالمها ولا التهوين من أمرها، وما دمنا قد سمعنا وقرأنا الكثير عن الأطباق الطائرة التي أشيع عن رؤيتها آلاف المرات، فلا بد أن نجد تعليلا حاسما لهذه الظواهر الغريبة التي اعترف العلماء أنهم عاجزون عن تفسير بعضها بعد أن تبين لهم أنها ليست شهبا ولا نيازك ولا طائرات ولا بالونات ولا أقمارا صناعية ولا شوائب تلوث عدسات التصوير.. ولا نستطيع أن نجزم أن الظاهرة لاإرادية من صنع خيالنا، أو أن الاستمرار في البحث فيها مضيعة للوقت،ولقد لجأ بعض الكتاب إلى الخيال العلمي واصفين الرواد الزوار القادمين في هذه الأطباق بأنهم يطيرون في مجال قوي خاص بهم،وهم وحدهم الذين يستطيعون إنتاجه، وتحويل المادة لطاقة بالتبادل بين التجسيد والتمويج،بل ويطيرون بسرعة تفوق سرعة الضوء، وهـذا طبعا مستحيل فيزيائيا بالنسبة للكون المشهود المعروف لنا؛ لأن تخطي السرعة المذكورة أمر متاح فقط للجن والملائكة .

وبصرف النظر عمَّـا ورد في كتب كثيرة عن سر الأطباق الطائرة والذين هبطوا من السماء في خيال بعض الأدباء، فإن ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة موجودة وسوف تظل مدارا للحديث والجدل والمناظرة والخيال العلمي حتى يأتينا اليقين،ويلتقي فعلا أهل الأرض بأهل السماء، الأمر الذي يؤكد القرآن الكريم حدوثه في المستقبل ضمن آيات الله الكبرى وهو سبحانه رب العالمين.



يؤكد القرآن بصريح العبارة تعدد الأرضين في قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق]

ونلاحظ في هذه الآية أن لفظ سموات أتى دون ذكر كلمة طباقا كوصف قرآني لها،وبهذا يجب علينا أن نصرف النظر عن وجود طبقات سبع داخل أرضنا كما تخيل بعض المفسرين لهذه الآية مجازا دون وجه حق،فالآية تشير صراحة إلى حقيقة وجود عدد من الأرضين بنفس عدد السموات السبع ويؤيد ذلك أحاديث رسول الله ﷺ كما يلي :

-"من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين".

-"ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة".

-"اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن...".

وكل هذه الأحاديث النبوية تؤكد أن لكل أرض سماء تعلوها وأن هناك ارتباطا بينهما فلا سماء بدون أرض ولا أرض بدون سماء كما يتضح أيضا من بديعيات قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ [هود : ٤٤]





وبهذا فالأرض والسماء متلازمتان، فإذا كان هناك سبع سموات فلا بد أن يكون هناك سبع أرضين، والرقم ٧ يعطي في لسان العرب مفهوم العدد بحقيقة اللفظ وأيضا مفهوم التعدد غير المحدود للتعبير عن الكثرة مجازا، وكل من المفهومين وارد فقد يكون هناك ست أرضين غير أرضنا تصاحبها ست سموات غير سمائنا ليصبح المجموع سبعة أو يكون هناك بلايين الأرضين المصاحبة لبلايين السموات أي بلايين النجوم، وأن بهذه الأرضين كلها كائنات عاقلة وأن الأمر الإلهي يتنزل بين كل سماء وأرضها كما في قوله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق]

والأمر يحمل هنا معني الأمر الكوني المتحرك بين السماء والأرض وبسرعة أقصاها سرعة الضوء كما في آية السجدة (٥)، وكذلك الأمر الشرعي الذي تحمله الملائكة متحركة بسرعة أكبر (المعارج: ٤) إلى أنبياء هذه الأرضين لهداية سكانها من الكائنات العاقلة، ومما يؤيد تفكيري هذا حديث في مستدرك الحاكم عن أبي الضحي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

«الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن (يعني أن الله خلق سبع أرضين) وفي كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى».

وقد أورد ابن كثير هذا الحديث لتفسير آية (الطلاق: ١٢) وهو حديث مقنع وعلمي ومنطقي، بينما يصفه البعض بأنه ضعيف رغم أن الحاكم أخرجه وقال صحيح على شرط الشيخين، ولقد توقع ابن عباس

تكذيب البعض لهذا الحديث حين قال: «لو حدثتكم عن تفاصيل تفسير سبع سموات ومن الأرض مثلهن لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها فإن في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق».

والقرآن الكريم يميز بين كلمتي كوكب وأرض، فالأرض قرآنيا هي الكوكب العامر بالحياة حيثما كان في الكون؛ لأن الأرض تتميز قرآنيا بأنها الكوكب المحتوى على الماء السائل الضروري للحياة؛ ولهذا ينسب الماء للأرض كما في قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ [هود: ٤٤]

وقوله سبحانه:

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾ [النازعات]

فلفظ (ماءك) ولفظ (ماءها) هنا منسوبان للأرض، يدل على أن لكل أرض ماءها كشرط لتسمية الكوكب بلفظ الأرض والتي يؤكد القرآن أنها سبع أرضين كما في الطلاق (٢١) أي متعددة على مستوى الكون كله وتحتوي جميعها على الماء وبالتالي على الحياة بجميع أنواعها كما في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

وبهذا يوجد على كل أرض حياة عاقلة تدب عليها: منها ما يمشي على رجلين مثلنا تماما، ولفظ الدابة يطلق على جميع الحيوانات التي تحوي الماء في تركيبها بما فيها الإنسان في قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور]

والله سبحانه يكرم الإنسان ويفضله على كثير ممن خلق من كائنات عاقلة تفضيلا كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء]

فلا داعي لغرور الإنسان فهناك مخلوقات عاقلة على أرض غير أرضنا أكثر تفضيلا عند الله منا؛ لأنها رغم بشريتها ملائكية الطباع كما في وصف النبي ﷺ لهم في الحديث الشريف التالي المروي عن صاحب الإحياء في ميزان الجواهر: «**إن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين، قالوا: يارسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال: لا يدرون خلق الشيطان أم لا، قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: لا يدرون خلق آدم أم لا**».

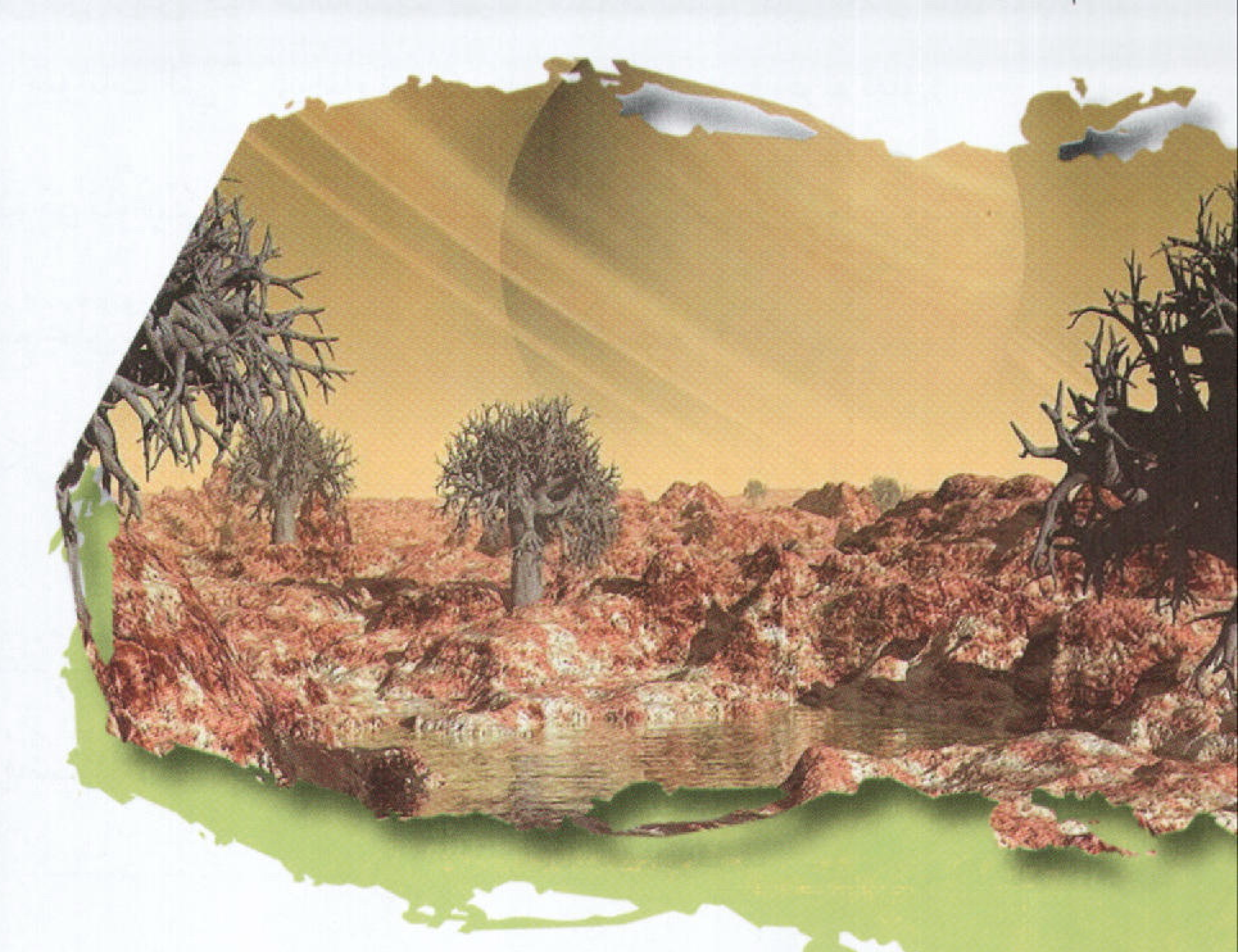
حقا، فالأرضون متعددة والحياة منتشرة في الكون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، والعلم لا ينكر كما رأينا سابقا وجود الأرضين الأخرى ووجود حياة عاقلة عليها ويدل على ذلك (بالإضافة لما سبق ذكره) ما يلي:

١ ـ اكتشاف الأحماض الأمينية في النيازك الواصلة للأرض.

٢ ـ اكتشاف جزيئات عضوية وبخار الماء في فضاء ما بين النجوم بدراسة الطيف الذري في الضوء القادم منها.

٣ ـ تأرجح مسار بعض النجوم دليل على وجود توابع كوكبية لها، وهذه الكواكب قد يكون بينها أرضون مثل أرضنا.

٤ ـ لغز الأطباق الطائرة وزوار أهل السماء في الخيال العلمي الذي قد يصبح حقيقة، والله على جمعهم بأهل الأرض إذا يشاء قدير.



ولماذا يتشكك البعض في هذه الحقيقة العلمية التي يدعمها الحديث الشريف ويؤيدها القرآن الكريم في آيات متعددة،منها فاتحة الكتاب بقوله تعالى:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة]

وتعبير العالمين بصيغة الجمع يدل على أننا لسنا وحدنا فى هذا الكون ولكن هناك عوالم أخرى؛ ولهذا يتكرر لفظ (العالمين) فى القرآن الكريم عشرات المرات، ولقد اعتقد المفسرون أن هذا اللفظ إشارة إلى عوالم الإنس والجن والملائكة، ولكن لا داعي في رأيي لهذا التخصيص ما دامت الأرضون متعددة يدب عليها جميعا العديد من المخلوقات الذكية العاقلة وغير العاقلة من غير الجن والملائكة والتى يخلقها الله من الماء (وليست من النور أو النار) على هيئة دواب كما فى البند التالى :

٥- القرآن الكريم يشير إلى دواب الأرض والسماء:

يقول سبحانه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى]

وكلمة دابة هي في لسان العرب كل ما دب على الأرض من حيوان زاحف على بطنه أو إنسان يمشي على رجلين أو أي حيوان يمشي على أربع أو أكثر كما في نص الآية السابقة (النور ٥٤). ورغم هذا لم يتصور معظم المفسرين وجود الدابة بهذا المعنى في السماء لأنهم لم يتصوروا تعدد الأرضين أي وجود الدواب في



السماء وفسروا عبارة ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ بقصر البث على أرضنا وحدها رغم دلالة اللفظ «فيهما» في آية الشورى: ٢٩.

فقال الفراء: أراد ما بث في الأرض دون السماء، وقال الفارسي: ما بث في أحدهما، وقال مجاهد: يدخل في معنى الدواب الملائكة والناس، وجاء في الآلوسي ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي حيوان له دبيب وحركة. وظاهر الآية وجود ذلك في السموات وفي الأرض، وبه قال مجاهد الذي فسر الدابة بالناس والملائكة مفترضا أن يكون للملائكة مشي (دبيب) مع الطيران، واعترض ابن المنير بأن إطلاق الدابة على الناس بعيد في عرف اللغة فكيف بالملائكة، وادعى أن الأصح كون الدواب في الأرض لا غير وما في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة كمثل قوله تعالى:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرحمن]

بينما اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحر المالح وتكررت نفس التفسيرات عند الطبري والقرطبي بأن الدواب في الأرض فقط، وقال ابن كثير في تفسير آية (الشورى ٢٩) أن قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر ﴿ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا ﴾ أي ذرأ فيهما أي في السموات والأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالها، وقد فرقهم الله في أرجاء السموات والأرض، وهو سبحانه مع هذا كله على جمعهم إذا يشاء قدير في يوم القيامة! ولنا هنا تعليق على أقوال هؤلاء المفسرين:





١ - أدخل المفسرون الملائكة في مصطلح الدواب رغم أن الدابة مخلوقة من الماء بنص قرآني، بينما الملائكة أجسام نورانية، كما أن الدابة تشمل كل من أو ما دب على الأرض، بينما الطيور عرفها القرآن بأنها ذات أجنحة تطير بها من مكان إلى آخر، وهذا هو الغالب عليها، فإذا وقفت على فرع شجرة أو مشت على الأرض فإن ذلك لا يحولها إلى دابة، كما أن الدابة لا تتحول إلى طائرة لو قفزت في الهواء وبهذا يميز القرآن بين الدابة والطائر كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام:٣٨]

فما بالنا بالملائكة وقد وصفها الله بأنه جعلها أولي أجنحة كما في قوله تعالى:

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر : ١]

فالملائكة تطير وليست دواب وإن مشوا في بعض الحالات كما لاينبغي أن نحسبهم من عالم الطير لامتلاكهم أجنحة،بل هم أجسام نورانية لا تتوالد، والله أعلم بحقيقة توصيفهم، والمهم أنهم ليسوا من الماء أي ليسوا من الدواب.

وإذا كانت القاعدة عند أهل اللغة أن العطف يقتضي المغايرة فما رأي جمهور المفسرين (الذين يعتبرون الملائكة دواب السماء) في عطف الملائكة على الدواب لاختلاف كل منهما عن الآخر كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل]

وبهذا يميز القرآن هنا بين الدواب المخلوقة من الماء وبين الملائكة المخلوقة من النور لبيان أن قوله تعالى: ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الشورى : ٢٩]

نص قرآني صريح يثبت بث الدواب أرضا وسماء بدليل تكرار الاسم الموصول «ما» مرتين في الآية الأخيرة النحل ٤٩: فالدواب موجودة هنا وهناك أي في أرضنا والأرضين في السموات الأخرى.

٢ـ القياس على أن الدواب الأرض فقط قياسا على قوله تعالى:

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الرحمن]



باعتبار اللؤلؤ والمرجان يخرج من البحر المالح دون العذب قياس خاطئ فلقد أثبت العلم وجود بحرين مالحين بينهما برزخ ويخرج منهما معا اللؤلؤ والمرجان؛ ولهذا يجب التمسك بالنص القرآني عند التفسير فلفظ (فيهما) يعني وجود دواب في الأرض والسماء كآية من آيات الله لم يتوصل العلم لإثباتها حتى الآن.

وما بالنا وقد بدأ الله سبحانه آية الشورى (٢٩) بقوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

إننا جعلنا بيننا وبين الآية الكونية المدهشة سدا أو حاجزا،وذهبنا نبعد عن الحقائق التي يتضمنها النص بأساليب التأويل والتشبيه وإنكار وجود الدواب في السماء أي في الأرضين السماوية حتى تاهت الحقائق وأخفينا الإعجاز العلمي للقرآن الذي ينبهنا لوجود آية كبرى تدل على وجود حياة على الكواكب الأخرى في السماء،أي تعدد الأرضين،وأن هذه الحياة دواب مخلوقة من الماء في الأرض والسماء بصرف النظر عن الملائكة أو الجن التي لا تدخل ضمن الدواب.

ولا أدري لماذا ذهب المفسرون بنص آية الشورى ٢٩ بين القيل والقال وقد عرفوا جميعا – رضي الله عنهم – أن الله قادر على الخلق والتصوير،فهوالبارئ المصور،إن شاء خلقنا في صورة إنس أو حيوان أو طائر،أو غيرذلك وإن شاء خلق أمثالنا في كواكب أخرى وهو سبحانه على جمعنا معهم أثناء الحياة الدنيا إذا يشاء قدير.

٣ ـ قصر الجمع بين دواب أرضين السموات والأرض(التي نعيش عليها) على يوم الحشر يوم القيامة في نظر المفسرين تحديد خاطئ؛ فإذا أخبرنا الخالق القدير أنه لو شاء أن يجمع ما بث من دابة في السموات وفي الأرض لفعل، فكيف نقف نحن معشر البشر موقفا غريبا من هذه الحقيقة، فلا يخرجنا من حيرتنا وعدم قدرتنا على تصور هذا اللقاء إلا أن نحيله ليوم القيامة والحشر والحساب كتفسير أخروي شائع لدى معظم المفسرين بالنسبة للآيات القرآنية الكونية التي لم يستطيعوا إدراكها في زمنهم،فهل ما زلت عزيزي القارئ تستغرب أو تستبعد أن تكون للسماء دوابها في أرضين أخرى، وأيضا فإن لأرضنا دوابها؟ وهل تستكثر قضية الجمع في الدنيا بين هذه الدواب كما فعل المفسرون صارفين النص عن ظاهره دون حجة ولا برهان؟

والأجدر بنا ونحن نعيش عصر العلم أن نبقي هذه الآية على إطلاقها وصريح نصها وإعجازها العلمي الذي سيكشف عنه الله في المستقبل بقدرته سبحانه وهو على كل شيء قدير وفعال لما يريد، والآية صريحة عن إمكان اللقاء بين سكان الأرض والسماء (من غير الملائكة) في الدنيا قبل الآخرة إذا أراد ربي وشاء تحقيق وعده كما في قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣]

وأتصور حدوث هذا اللقاء في الدنيا في المستقبل في إحدى صور ثلاث:

ـ أن يسبق أهل الأرض بالوصول إلى أهل السماء لمقابلتهم على أرضهم الموجودة في السماء.

ـ أن يسبق سكان أرضين السموات بالقدوم إلينا فيكون اللقاء على أرضنا.

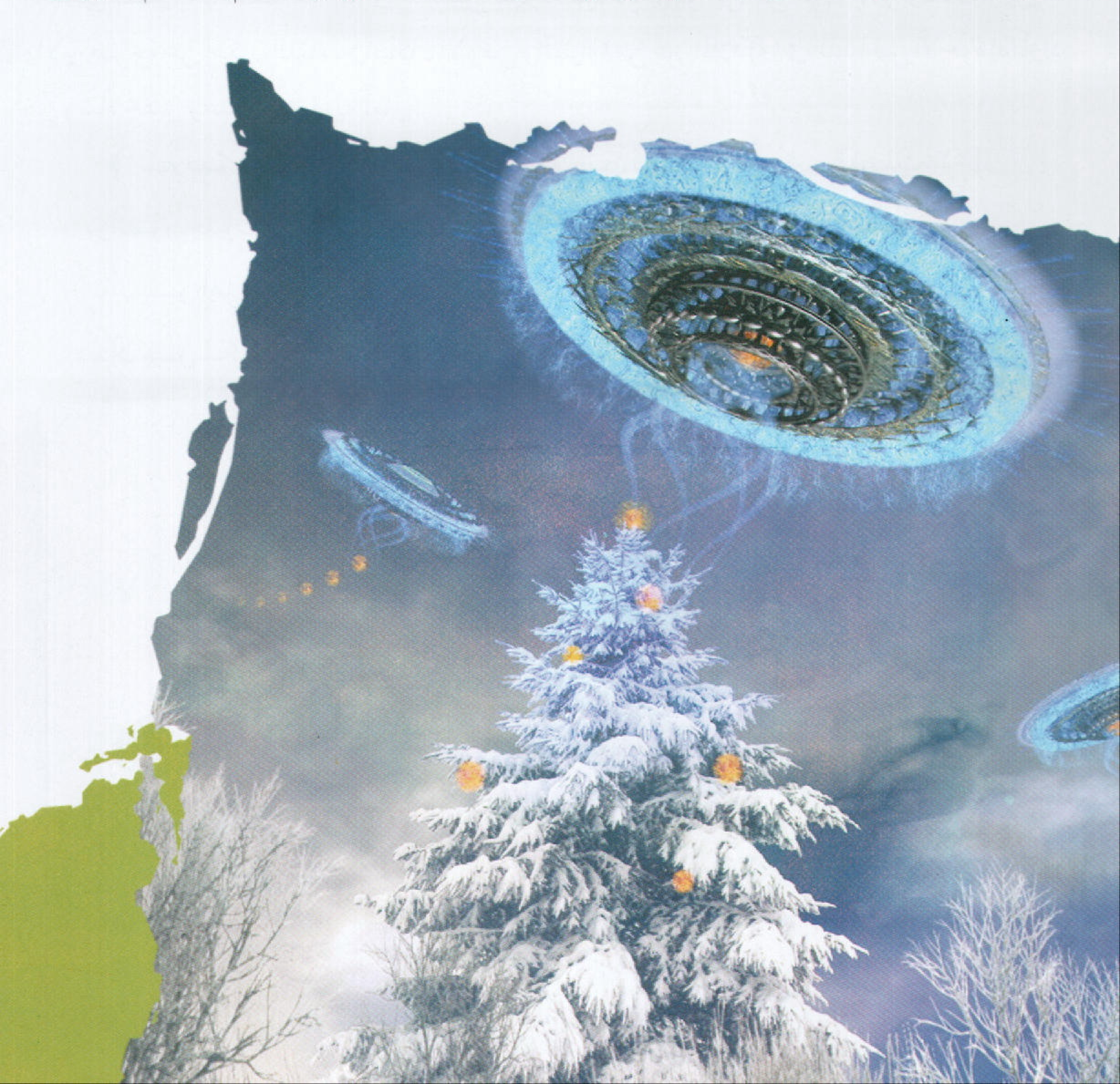


ـ أن يتم اللقاء في الفضاء بين الفريقين.

ولعل بعض الظواهر الغريبة التي تبدو للناس من وقت لآخر كالأطباق الطائرة تكون مؤشرا إ
شيء من ذلك،وليس مستبعدا لقاء دواب السموات والأرض بالاتصال اللاسلكي، أي يجتمعان بالصو
والصورة إذا لم يتم اللقـاء المباشر، وصدق الحق تبارك وتعالى بقوله:

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى]

وهناك دلائل علمية ومنطقية لايمكن وصفها تتوقع وجود حضارات متقدمة عنا في كواكب (أرضين
أخرى قد تكون في مجراتنا أو مجرات أخرى والتي بدورها تحتوي على بلايين الشموس وبالتالي بلايين الكواكب
كما ذكرنا، ولقد أصدرت دائرة المعارف البريطانية المجلد ١٨ لعام ٨٢م وذكرت فيه حادثة انفجار طبق طا
أمام مجموعة من الصيادين اليابانيين، كما عرضت وكالة ناسا الأمريكية عام ١٩٧٩م صورا وأفلام



طباق طائرة صاحبت نيل أرمسترنج قائد أبوللو أثناء رحلته إلى القمر عام ١٩٦٩م ويوجد لدى المخابرات ركزية ملف كامل من آلاف الصفحات للأطباق الطائرة،وهناك روايات كثيرة نشرتها جميع صحف العالم ن ظهور أجسام غير معروفة في السماء في أمريكا وإيران والاتحاد السوفيتي ومصر ، وما زالت الأطباق طائرة لغزا، وهل يقود هذه الأطباق مخلوقات حية من العوالم الأخرى؟ نحن لا ندري وما زال السر لقا ولا نعلمه علم اليقين إلا من آيات رب العالمين التي نزلت في القرآن الكريم على خاتم النبيين، والتي علتني -والحمد لله- مقتنعا اقتناعا كاملا بأننا لسنا وحدنا في هذا الكون، وحين يتأكد ذلك فمن يدري لعلنا فق نحن سكان الكرة الأرضية في حل مشاكل الجوع والحروب على كوكبنا ومشاكل الأمراض المستعصية ي ليس لها علاج، وليس هذا من قبيل خيالي العلمي ولكن القرآن الكريم يؤكد في أكثر من آية على وجود ئنات عاقلة ذكية على أرضين أخرى كما ذكرنا في آيات الطلاق ١٢ والشورى ٢٩ والآية التالية في قوله الى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل]

وقد يعترض أحد على حرف (ما) الذي يستخدم في اللغة العربية عادة لغير العاقل ولكننا نجد آيات خرى في القرآن وقد استبدلت (ما) بـ(من) التي تشير إلى الجماعة العاقلة بصفة أساسية كما في قوله تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء : ٤٤].

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحج:١٨].

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم].

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن].

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٦٨].

كما أن الله -سبحانه وتعالى- وعد بإخراج دابة من الأرض تكلمنا كعلامة من علامات اقتراب القيامة كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل]



ولا ندري من أي أرض سوف تخرج هذه الدابة لتكلمنا وهل ستخرج من أرضنا على هيئة حيوان ناطق؟ أم من الأرضين الأخرى على هيئة كائن حي عاقل يزورنا ويكلمنا؟ ومتى سيحدث ذلك؟ كل هذا في علم الله -سبحانه- الذي يخرج الخبء في السموات والأرض كما في قوله تعالى:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

[النمل]

والخبء يشمل كل شيء غير مرئي، فالحبة تختبئ في الأرض فتخرج زرعا، وهذا هو ما فهمه المفسرون لمعنى هذه الآية التي توحي بانتشار الزرع في السماء والأرض وهذا صحيح تأكيدا لانتشار الحياة هنا وهناك!!



والخبء أيضا في نظري يشمل كل الإشعاعات غير المرئية ويشمل الدابة التي ستخرج من الأرض في آخر الزمان في عصر لقاء أهل الأرض بأهل السماء وهو عصر لا بد قادم والله على جمعهم إذا يشاء قدير، وربما اقترب زمانه وجاء أوانه، ومهما كانت أشكال أهل السموات وأيا كان مقامهم ومهما كانت ألسنتهم فسنسألهم ويجيبون بالحق اليقين، بل ويسألوننا ويستمعون إلى الصدق المبين لأنهم يعبدون معنا إلها واحدا كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف]

ولا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وصدق تعالى بقوله:

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [غافر]

وهكذا تتسع نصوص القرآن لاستيعاب كل عصر، وصدق الحق تبارك وتعالى رب العالمين بوصف القرآن فيقوله سبحانه:

